الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الجزائرية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945

قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ..... قسم التاريخ والآثار

التخصص: التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان

# الحركات المذهبية والقبائل البربرية في بلاد المغرب الاسلامي

## (من القرن 1هـ إلى القرن 5هـ)


**إعداد الطالبة:**

- ريمة بورصاص

**إشراف الأستاذ:**

بلقاسم مرزوقي


لجنة المناقشة

| الأستاذ | الرتبة | الصفة | الجامعة |
|---|---|---|---|
| كمال بن مارس | أستاذ محاضر –أ– | رئيسا | جامعة 08 ماي 1945 قالمة |
| بلقاسم مرزوقي | أستاذ مساعد –ب– | مشرفا ومقررا | جامعة 08 ماي 1945 قالمة |
| عبد الخليل قريان | أستاذ مساعد–أ– | عضوا مناقشا | جامعة 08 ماي 1945 قالمة |

**السنة الجامعية: 1433هـ/1434هـ**

**2012 م/2013م**

# شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

صدق الله العظيم

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات العلم، إلى من صاغوا إلينا لعمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم و النجاح إلى أساتذتنا الكرام

أتقدم بأسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير و المحبة إلى الذي حمل معنى أقدس رسالة في الحياة إلى الذي مهد لنا طريق العلم و المعرفة إلى الأستاذ المشرف : بلقاسم مرزوقي.

# إهـــداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بذكرك وطاعتك ، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك " الله جل جلاله " .

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة ، ونصح الأمة ، إلى نبي الرحمة ونور العالمين إلى سيدنا "محمد صلى الله عليه وسلم" .

إلى من كللها الله بالهيبة و الوقار إلى من علمتني العطاء بدون انتظار إلى من ساندتني يوم ضعفي و شاركتني همي وحزني إلى من ذرفت الدموع من أجلي و سقتني الحب في صغري حتى امرتوت منه عروق جسدي ، إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي ، إلى ملاكي في الحياة " أمي الحبيبة " .

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمد في عمره ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار، إلى القلب الكبير " والدي " .

إلى من لها أكبر و عليها اعتمد ، إلى شمة حياتي ، إلى من بوجودها أكتسب قوة و محبة إلى من عرفت معها معنى الحياة " أختي صبرينة " .

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى إخوتي : رضوان و عبد السلام .

إلى سندي و قوتي و ملاذي بعد الله ، إلى من آثروني على نفسهم ، إلى من علموني علم الحياة إلى من أظهروا لي ما هو أجمل أخواتي خاصة ماجدة .

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي : لؤي ، قصي ، غنى و مرفيف .

إلى أطيب ما رأت نفسي ، إلى من اهتم بأمري ، إلى من نور ظلام دربي ، إلى " زوجي " .

إلى من سرنا سويا و نحن نشق طريق العلم إلى صديقاتي و زملائي ، و أخص بالذكر الذي ساندني في هذا العمل صبرينة زينب و سليم .

**ريمة بورصاص**

# خطة البحث

- **مقـــدمـــة**

**فصـــل تمهيـــدي:** دراســـة جغـــرافية وتاريخية لبـــلاد المغرب

- **المبحث الأول:** جغرافية بلاد المغرب.
- **المبحث الثاني:** الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

**الفصـــل الأول:** نشأة الحركات المذهبية ودخولها بلاد المغرب الإسلامي

- **المبحث الأول:** الحركة الشيعية.
- **المبحث الثاني:** الحركة الخارجية.

**الفصـــل الثـــاني:** نجاح الحركات المذهبية وتبني البربر لها.

- **المبحث الأول:** نجاح الحركة الشيعية.
- **المبحث الثاني:** نجاح الحركة الخارجية.

**الفصل الثالث:** تحول الحركات المذهبية إلى حركات سياسية وانتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي.

- **المبحث الأول:** زوال الملك العربي على المغرب الإسلامي.
- **المبحث الثاني:** القطيعة المذهبية و الزحف الهلالي على بلاد المغرب.
- **المبحث الثالث:** انتصار وتمكن المذهب المالكي.

**خـــاتمة**

**ملاحـــق**

**الفهـــارس**

**قائمـــة المصـــادر والمراجع**

مقـدمة

## مقـــــــدمة

كانت بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي خاضعة لقوى أجنبية متتالية كالرومان و البيزنطيين، و لم يكن لبربر دور هام في الحضارة المغربية بل كانوا مستغلّين من طرف الغزاة عن طريق الحباية والتجنيب و العبودية و السّبي إلى حين دخولهم الإسلام.

فمع بداية ظهور الإسلام في بلاد المغرب هبّ البربر للمقاومة ، وخاضت الجيوش الإسلامية الكثير من المعارك في سبيل كسر شوكتهم، و لم يتمكن المسلمون من ذلك حتى تحقق للبربر أن الزلاء الجدد يختلفون عن السابقين ، وذلك لما يحملونه من تعاليم دينهم الذي يرفض الاستغلال وينادي بالمساواة فبدأ البربر في إعتناق الإسلام وقلت مقاومتهم كلما إزداد في الإنتشار حتى هدأت أحوال المغرب وإنتهت المقاومة قبل نهاية القرن الأول للهجرة.

ولقد تميز تاريخ بلاد المغرب في القرون الهجرية الأولى بالثورات والتقلبات المتكررة فحلّ العامل القومي في القرن الأول للهجرة محلّ الصراع ثم حلّ الصراع المذهبي في المرحلة الثانية محلّ العامل القومي ونتج عنها ظهور دويلات إستند قيامها إلى المذهبية مثل الدولة الصفرية في سجلماسة و الدولة الإباضية في المغرب الأوسط ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى و الدولة الفاطمية .

ويعالج هذا البحث الحركات المذهبية التي دخلت بلاد المغرب، وتبنتها القبائل البربرية ثم تمّ التخلي عنها في آخر المطاف وتبنّت العصبيه القبليه لقيام الدوله بدل العصبية المذهبية .

وبسبب الصراعات التقليدية منها بين البربر البتر والبربر البرانس أو الآتية من الخارج من العناصر الوافدة لبلاد المغرب تمكن البربر من إقامة دول سواء كانت بأياد عربية أو بربرية فيما بعد، فكانت الحركات المذهبية هي الجواد الذي يوصل إلى برّ الأمان وتحقيق المآرب ، كما كان الاتجاه الديني كالمهدية و النسب العربي كالقريشية إحدى الوسائل للتقرب إلى قلوب البربر ودخول عقولهم .

ونؤكد أن الجوانب التي تهمنا في حركات الخوارج والشيعة المغربية هي الجوانب التاريخية السياسية بالدرجة الأولى أما الأصول المذهبية و الدينية فنهتم بها بقدر ما تسير لنا المسائل التاريخية و الأحداث السياسية في حياة الحركة وتطورها .

وقد كان من دوافع اختياري لموضوع "**الحركات المذهبية و القبائل البربرية في بلاد المغرب الإسلامي**" أسباب عدة لعل أبرزها ما يلي :

- الميول الشخصي لدراسة مواضيع تتعلق بالتاريخ الإسلامي في جميع جوانبه .
- إعادة النظر الفاحص في أهمّ الآراء الواردة حول أسباب التّشيع أو أسباب إتباع المذهب الخارجي، ثم الأسباب العميقة في التحول إلى الدولة القائمة على أساس قبلي بدل الأساس الديني .

الأهمية الكبيرة للموضوع باعتبار له تبعات وجذور تمتد لتصل إلى الوقت الحاضر وماله من آثار على الفئة الخارجية "الاباضية خاصة" أو الشيعية التي تحاول الرجوع والظهور بقوة أو حركة التعريب التي تمّت على يد بني هلال .

- إصدار الكثير من المؤرخين الأحكام المغلوطة على البربر وقبائلهم ، في شأن تغييرهم لمذاهبهم وتبديلهم من حزب لآخر واتهامهم حتى بالخروج عن الإسلام .

إن مثل هذا الموضوع "**الحركات المذهبية والقبائل البربرية في بلاد المغرب الإسلامي**" تقودنا إلى طرح إشكالية رئيسية للموضوع وهي : ما هو الدور السياسي و الديني الذي لعبته الحركات المذهبية في قيام دول بلاد المغرب ؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات منها :

- لماذا اتبع البربر المغاربة المذهب الخارجي في البداية دون غيره ؟
- لماذا انضمت بعض فرق الخوارج "كالإباضية في بلاد المغرب دون غيرها ؟
- ما هي مبررات انتشار المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب دون بقية المذاهب ؟
- ما الذي أعجب به المغاربة في المذهب الشيعي حتى جعلهم ينخلّون عن المذهب الخارجي الديمقراطي ؟
- هل انتشر فعلا المذهب الاسماعيلي في إفريقية الشمالية ، وهل تعمق البربر في فهمه و الإطاحة بما يحتوي عليه من تشريعات ونظريات ؟
- هل كان نجاح الفاطميين في إقامة دولتهم بإفريقية الشمالية نتيجة انتشار هذا المذهب أم أن هناك عوامل حققت هذا النجاح ؟
- ما أسباب التحول إلى المذهب المالكي السني و التخلي عن التشيع ؟
- لماذا تحولت الكيانات السياسية من كيانات مذهبية دينية إلى كيانات سياسية قبلية ؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات، وللإجابة عليها وبناءا على المادة العلمية التي توفرت لدينا قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة ، بحيث يضم الفصل التمهيدي و الفصل الأول و الثاني على مبحثين أما الفصل الثالث فيحتوي على ثلاثة مباحث .

ففي الفصل التمهيدي تطرقنا فيه إلى دراسة جغرافية وتاريخية لبلاد المغرب لعلاقة هذا الفصل بما سيأتي من سير للأحداث والمعارك وربطها بالواقع.

أما الفصل الأول فكان عن نشأة الحركات المذهبية ودخولها بلاد المغرب الإسلامي في مبحثين أولها حول الحركة الشيعية باعتبارها دخلت إلى بلاد المغرب واستطاعت أن تقيم دولا لها ؛ حيث يتضمن مطلبين الأول الذي من خلاله قمنا بالتعريف بالمذهب الشيعي ونشأته ، أما المطلب الثاني فجاء فيه حركة التشيع في بلاد المغرب والذي دخل بانتقال التيارات المتقدمة عليه أو المعاصرة له ؛ والمبحث الثاني حول الحركة الخارجية و الذي تضمن مطلبين ، الأول قمنا من خلاله بالتعريف بالحركة الخارجية ونشأتها ، أما المطلب الثاني فقد تضمن دخول الحركة الخارجية إلى بلاد المغرب من خلال الأسباب و المظاهر .

أما الفصل الثاني فكان حول نجاح الحركات المذهبية وتبني البربر لها ، فقسمته إلى مبحثين أولهما نجاح الحركة الشيعية ؛ مما جعلنا نقسمه إلى مطلبين، الأول حول الدعوة الزيدية ونجاحها بين قبائل أوربة البرنسية التي كونت الدولة الإدريسية ، أما الثاني فقد تكلمنا فيه عن نجاح الدعوة الإسماعيلية في قبيلة كتامة البرنسية وتأسيسهم لدولة وحدت المغرب مع مصر لأول مرة في التاريخ؛ لكن بعد إكتشاف المغاربة لظروفهم ومحاولة فرضهم المذهب الشيعي بالقوة إنتفضوا ضدها وشكّلوا كيانات مستقلة . والمبحث الثاني كان حول نجاح الحركة الخارجية في بلاد المغرب والذي إحتوى بدوره على مطلبين ، فقد تحدثنا في الأول عن الدعوة الصفرية ونجاحها بين البربر البتر في تكوين دولة بني مدرار ، والمطلب الثاني يتمثل في المذهب الإباضي ونجاحه في تكوين الدولة الرستمية مع الإشارة أنه لا تهمنا الدولة من حيث المظاهر الحضارية بقدر ما تهمنا النشأة و التطور السياسي للحركة المذهبية وصولا إلى أسباب نهايتها وانقلاب البربر عليها .

وقد حددنا نهاية بحثنا هذا من خلال الفصل الثالث بتحول الحركات المذهبة إلى سياسية من خلال زوال الحكم و الملك العربي الذي أبرزناه في المبحث الأول منه، كما فصلنا في المبحث الثاني القطعية المذهبية بظهور دولة الزيريين و الحماديين ، واختفى التشيع من الميدان ، واعتصمت الخارجية في الأماكن النائية بقسطيلية وجزيرة جربه

و جبال دمر وبعض المدن الصحراوية الميزابية في الجزائر، فكانت العاقبة وخيمة من خلال إرسال الفاطميين لبني هلال رغم بعض ما جاءوا به من تعريب إذ في ظنّهم كتبت الغلبة للمذهب المالكي وهذا ما أبرزناه في المبحث الثالث .

وفي الأخير ختمنا بحثنا بجملة من النتائج و الاستنتاجات كانت بها إجابات شافية وكافية عن أغلب التساؤلات.

وبناءا على هذه الخطة ومن أجل الإلمام بجوانب الموضوع إرتأينا الاعتماد على منهج وصفي للأحداث بطريقة حيادية متبعا نهج الاستقراء و المقارنة مع تحليل النتائج و الآراء، ولاستخراج المادة المطلوبة من ثنايا هذه الكنوز التي تنوعت مواضيعها ومشاربها .

كما إعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع الهامة كابن عذارى وابن خلدون وابن الأثير ومنها الخاصة وهذا لجعل البحث أكثر منهجية ودقة في تحديد المعلومات و التنسيق بينها ، ومن بين المصادر التي إستخدمناها بشكل مكثّف كتاب : "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " لابن عذارى المراكشي المتوفى سنة 712هـ ، وبصورة خاصة الجزء الأول منه، فقد أفادنا في تأكيد وتدقيق المعلومات لاعتماده على منهج الترتيب التاريخي للأحداث .

كما إعتمدنا بشكل ممائل على كتاب 'المشايخ في المغرب ' لمؤلفه الدرجيني الذي ألمّ بمعظم جوانب البحث، وكذلك كتاب السير للشماخي المتوفى سنة 685هـ ، أما كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون المتوفى سنة 808هـ ، فكان أنيسنا طوال فترة البحث من خلال حصره لمختلف القبائل العربية و البربرية، بدراسة كل واحدة منها على حدى ، على الرغم أننا وجدنا أنفسنا حائرين أمام تحامله الكبير على العرب اهلاليين بوصفهم بمختلف النعوت الذميمة ، ويصل أحيانا إلى تعميم ذلك الحكم على العرب جماعيا، وهو ما يسمى بالريب و التشكيك في حقيقة ما كتب عنهم ،أما ابن الأثير ( أبو الحسن الجزري ) المتوفى سنة 630هـ وكتابه " الكامل في التاريخ " ، فرغم انتمائه إلى بيئة غير بلاد المغرب ، إلا أن سرده للمادة التاريخية بمختلف دقائقها ، أفادتنا بشكل واسع في تغطية بعض النقص من المادة بتتبّعه للأحداث عبر التسلسل التاريخي لها ، رغم أنه يتحامل هو الآخر على الهلاليين ، في وصفه لبعض المواقف، إضافة إلى كتاب " الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى " للناصري السلاوي ، والعديد من المصادر التي تخدم الموضوع .

أما القسم الثاني من المادة التاريخية، فانتقيناها من كتب الرحلات، فوظفناها في حصر أهم النقاط الرئيسية، وهذا ما كتبه ياقوت الحموي في كتابه " معجم البلدان " الذي نحا منحى الوصف فزودنا بدوره بنفس المادة التي قدّمها باقي الرحالة .

أما بالنسبة لمصادر الحركة الشيعية ،فلا بدّ من استخدام أهم مصدر وهو للقاضي النعمان وعنوانه "رسالة افتتاح الدعوة"، كما اعتمدنا على مصدر مهم للدولة الادريسية وهو " الأنيس المطرب " لابن أبي زرع، ومن بين المصادر المهمة في الفترة الأخيرة من بحثنا و التي تخص التحول إلى الكيانات السياسية القبلية و الاعتماد على المذهب المالكي، هو " رياض النفوس " للمالكي .

أما بالنسبة للمراجع فهي عديدة من بينها كتاب " تاريخ الجزائر العام " لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي الجزء الأول منه الذي و "المغرب الكبير" للسيد عبد العزيز سالم، وعبد العزيز المجدوب "الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، وكتاب لمحمد بن عميرة بعنوان "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي" وغيرها من المراجع و المجلات و الرسائل الجامعية و القواميس .

لكن كل هذا لم يكن بالأمر الهيّن، فقد إعترضتنا صعوبات منذ الخطوات الأولى للبحث من أهمها ما يلي:

- طول البحث واستغراقه لمدة زمنية طويلة و لأحداث كثيرة .
- لم نجد أيّة دراسة معاصرة تتناول كل جوانب هذا الموضوع ، فإمّا نجد دراسة لظاهرة التشيّع أو دراسة للظاهرة الخارجية ، و لم نجد دراسة جامعة مقارنة .
- صعوبة الوصول للحقيقة نظرا لاختلاف الرأي بين المصادر السنية نحو الشيعة أو نحو الخوارج.
- الاهتمام الكبير للكتب بالجانب العقائدي ، مما اضطر نا إلى البحث في كل ماله علاقة بموضوع الشيعة و الخوارج بين كتب الفقه وأصول الدين .

وعلى الرغم من صعوبة التوفيق بين التدريس و الدراسة إلا أن تشجيع أستاذنا المشرف : **"مرزوقي بلقاسم"** على المثابرة، كانت حافزنا المعنوي ، وزادنا الذي أكملنا به المشوار، وهذا ما نحفظه له في أنفسنا ما حيينا .

وفي الأخير نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق و السداد إنه ولي ذلك والقادر عليه .

# الفصل التمهـيدي

## دراسة جغرافية وتاريخية لبلاد المغرب

- المبحث الاول: جغرافية بلاد المغرب
- المبحث الثاني: الفتح الاسلامي لبلاد المغرب

## المبحـــث الأول: جغرافية بلاد المغـــرب:

من الضروري أن نقدم مع بداية هذه الدراسة وصفا جغرافيا موجزا للبلاد المغربية ، لأن هذه البلاد تمثل مسرحا للحوادث التي سنقدم فصولا عنها ، ففهم هذا الإقليم يساعد في فهم الأحداث و التنقلات و المعارك. فإذا أردنا الحديث عن جغرافية بلاد المغرب لوجدنا صعوبة بالغة في تحديد هذا الإقليم ، نظرا للاختلاف بين المؤرخين القدامى و المحدثين و بين المؤرخين و الجغرافيين ، وحاولنا ذكر التسميات القديمة و الحديثة معا ليكون الأمر أكثر وضوحا .

فلفظ **المغرب** في أصل وضعه إسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بالإضافة إلى جهة المشرق و لفظ المشرق كذلك بإضافته إلى جهة المغرب ، إلاّ أنّ العرب قد خصّص هذه الأسماء بجهات معينة و أقطار مخصوصة، و عرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض و قسمتها ، و بأقاليمها و معمروها وخرابها وجبالها و بحارها و مساكن أهلها ، مثل بطليموس و رجال صاحب صقلية ، المنسوب إليه الكتاب المشهور بين الناس هذا العهد في هيئة الأرض و البلدان ، و أمثالهم أن المغرب قطر واحد مميّز بين الأقطار فحده من جهة المغرب بحر المحيط و هو عنصر الماء ، ويسمى محيطا لإحاطته بما إنكشف من الأرض.[1]

والمغرب أيضا إسم يطلق على تلك المنطقة الممتدة من قرية السلوم (غرب الإسكندرية ) في الشرق إلى المحيط الأطلسي غربا ، و من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى بلاد السودان جنوبا ( الصحراء الكبرى) و هي السودان ، النيجر و مالي [2].

فابن الأثير يشير إلى أن علي إبن أبي طالب (**رضي الله عنه**)أثناء استعداده في الكوفة لحرب معاوية بن أبي سفيان (**رضي الله عنه**) في الشام خاطب رجاله في الكوفة بقوله : "تجهّزوا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب "[3].

ويذكر ابن حوقل : "و أمّا المغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربته و هذا البحر جانبان شرقي و غربي ، و هما جميعا عامران ، و أما الغربي فمن مصر و برقة إلى افريقية وناحية تنس إلى سبتة و طنجة، و أما الشرقي فهو بلد الروم[4] ،ونلاحظ أن الأصطخري يعتبر المغرب نصفين :" و أما المغرب فهو نصفان يمتدان على

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر من أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج6 ،دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1992م ، ص114 .

[2] عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية. دارالثقافة ، 1991م ، ص 11 .

[3] ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، ج3 ، طبعة القاهرة ، 1949م ، ص 172 .

[4] ابن حوقل أبو القاسم محمد البغدادي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 ، ص 64 .

بحر الروم ، نصف من شرقيه و نصف من غربيه ، فأما الشرقي فهو برقة و إفريقية وتاهرت و طنجة و السوس و زويلة و ما في أضعاف هذه الأقاليم و أما الغربي فهو الأندلس".[1]

غير أن بعض الجغرافيين كانوا يمدون حدوده شرقا دون أن تؤثر على البعد الجغرافي الذي اتخذه، و منهم من جعل حدوده الشرقية العقبة التي على الطريق بين برقة و الإسكندرية[2] ، و في أيام العباسيين زاد مدلول المغرب إتساعا ، فصارت الشام أيضا ضمن المغرب ، إذ يروي المسعودي أن العباسيين قسموا مملكتهم إلى قسمين و هما : المغرب و يشمل الشام و مصر و إفريقية و ما يليهما غربا ، و المشرق و يشمل بلاد فارس و ما يليها شرقا ، و على هذا الأساس قسّم هارون الرشيد مملكته على أبنائه الأمين و المأمون و المؤتمن[3] .

و لكن على الرغم من كل هذه التقسيمات السالفة ، فان جمهرة المؤرخين و الجغرافيين العرب إتفقوا على تحديد كلمة مغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي ، فهناك المغرب الإفريقي، و هناك المغرب الأندلسي . و لهذا فان كلمة مغرب أو مغاربة قد تعني أيضا الأندلس و أهله و على هذا الأساس كانت مدينة الإسكندرية هي الحد الفاصل بين المغرب و الشرق ، ولهذا عرفت باسم "باب المغرب" ، لأنها كانت معبرا لجميع المغاربة القادمين من المغرب أو العائدين إليه سواء بالبر أو البحر بقصد التجارة أو طلب العلم أو تأدية فريضة الحج.

وهذا الموقع الجغرافي قد أعطى مدينة الإسكندرية طابعا مغربيا مازلنا نلمس آثاره حتى اليوم[4].

أما إطلاق مصطلح المغرب على نطاق شمال إفريقية كله ؛ أو جزء منه فأغلب الظن أنه لم يقع قبل القرن الثالث الهجري أي في عصر ابن عبد الحكم الذي أشار في حديثه عن نشاط معاوية بن حديج بقوله[5]"ثم خرج الى المغرب بعد عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج التجيبي سنة أربع و ثلاثين..."[6].

ومن الواضح أن كلمة المغرب كان لها مدلولها جغرافيا محضا يقصد به تلك البلاد الواقعة إلى الغرب من الدولة الإسلامية الأولى ، غير أن تحديدها في إطار هذا المفهوم كان عرضة للاختلاف ، فمرة يتناول اسم المغرب كل الأقاليم المغربية من الشمال الإفريقي بما فيها ليبيا و تونس و الجزائر و المغرب (الأسماء الحالية)[7] ، ومرة

---

[1] الاصطخري أبو اسحاق ابراهيم محمد الفارسي ؛ المسالك و الممالك . تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني و مراجعة: شفيق غربال، وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، القاهرة . 1961 ، ص 19 .

[2] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام .ج3:تحقيق و تعليق :مختار العبادي و محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب :المغرب . 1964 ، ص1 .

[3] أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب و الاندلس . مطبعة الانتصار : الاسكندرية .2001 ، ص ص12،11.

[4] المرجع نفسه، ص 12 .

[5] موسى لقبال ، المغرب الاسلامي . دار هومة ، الجزائر . 2005: ص 18 .

[6] ابن عبد الحكيم، فتوح مصر والمغرب ،ج1: تحقيق عبد المنعم عامر: الهيئة العامة لقصور الثقافة: القاهرة، 2001، ص260.

[7] سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي. ج1 ، مطبعة اطلس القاهرة . 1990 ، ص 3 .

أخرى تستثني منه ليبيا أو برقية ( الاسم القديم ) و يقتصر على الأقاليم الثلاثة هذا إذا لم تتـــوزّع ليبيا أحيانا بيـــن مصر و تونس فتتّجه برقة إداريـــا إلى الأولى بينما تتّجه طرابلس إلى الثانية[1].

وقد اصطلح على تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق و هي[2] :

المغرب الأدنى و قاعدتها في صدر الإسلام مدينة القيروان ، و في هذا العصر مدينة تونس[3] ، و سماها العرب بالمغرب الأدنى لأنها أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز و الشام ، و تمتد من طرابلس شرقا حتى بجاية أو تاهرت غربا ، وقاعدة افريقية هي القيروان[4] ، ثم بعد " افريقية " مملكة المغرب الأوسط و قاعدتها تلمسان و جزائر بني مزغنة ، ثم بعد ذلك مملكة المغرب الأقصى و سمي أقصى لأنه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صدر الإسلام وحد هذا الأقصى من جهة المغرب البحر المحيط و من جهة المشرق وادي ملوية مع جبال تازا ؛ و من جهة الشمال البحر الرومي و من جهة الجنوب جبل درن[5] .

وينبغي أن نلاحظ أن التقسيم السّالف الذكر لبلاد المغرب مجرد تقسيم اصطلاحي أوجبته الضرورة السياسية أو الإدارية ، لأن بلاد المغرب العربي الكبير وحدة متماسكة تجلت مظاهرها في شتى النواحي الجغرافية و البشرية و الاقتصادية و الاجتماعية ؛ فالمغرب عبارة عن جزيرة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى الغرب بحوالي "4000" كيلومتر ، يحيط بها البحر المتوسط شمالا ، و المحيط الأطلسي غرب و جنوبا الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن السودان و كانت هذه الصحراء تعرف باسم العرق و في الجنوب الغربي توجد صحراء شنقيط ( ومعناها بالبربرية عيون الخيل )[6].

ويعبّر ابن غذاري عن جغرافيه المغرب فيقول : " إذا جُزْت سَلا[7] و أخذت إلى ناحيه الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة و أخذت منها قافلا إلى القبلة ، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا ؛ و يقال لها أيضا بلاد السوس

---

[1] عبد الحميد العبادي ، المجمل في تاريخ الأندلس . القاهرة. 1964 ، ص 20 .

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب و الأندلس . المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة . 1990 ، ص 12 .

[3] أحمد بن خالد الناصري السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج1 ، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء . 1954 ، ص 33 .

[4] السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ،ج2 ،دار النهضة العربية ، بيروت . 1981 ، ص ص 127.126 .

[5] الناصري البلاوي، المصدر السابق، ص33-34 .

[6] احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية ، بيروت. 1972 ، ص122 .

[7] سلا : مدينة أزلية بناها الرومان و تغلب عليها القوط ، و لما دخلت الجيوش الاسلامية الى هذه المنطقة سلمها القوط الى طارق بن زياد قائد هذه الجيوش، و بعد تأسيس مدينة فاس انضوت سلا تحت سلطة ملوكها، وقد بنيت هذه المدينة على شاطيء المحيط في موقع جميل ، غير بعيد عن الرباط أكثر من ميل و نصف. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا.ج1،ترجمة :محمد حجي و محمد الاخضر ، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط2. 1983،ص207.

الأدنى ، وحدها إلى جبل درن ، و إذ جزت هذا الجبل فعن يمينك بلاد السوس الأقصى ، ويقال لها بلاد ماسة ، و يتصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان ، و هي بلاد الزنج ... ويليها المجاز الأعظم ، الذي يسمى بحر الزقاق ،و فيه مصب البحر الكبير الذي يسمى المحيط و يقال له بحر الظلمات ، و يصب ماء الزقاق في البحر الرومي و يقال له أيضا البحر الشامي ، و هو يصل إلى بلاد الشام إلى ناحية القسطنطينية ، إن حد المغرب من بحر القلزم و حد المغرب من الجواف البحر الشامي و هو بحر الإسكندرية ، و هو المتفرغ في بحر الزقاق من جزيرة طريف ، و علامته ضم قادس و حد المغرب من الغرب البحر المحيط المسمى الأبلانيه ، و صار المغرب كالجزيرة ، و حل فيه بعض أعمال مصر ، و افريقية كلها و الزاب و القيروان و السوس الأدنى و السوس الأقصى ، و بلاد الحبشة ، و منه يتفرغ نيل مصر[1] .

و يقول المقدسي :"وأجفاها و أثقلها و أغشاها قوما و أكثرها مدنا و أوسعها أرضا المغرب "(2) وعموما أثرت البيئة الجغرافية لبلاد المغرب على حضارته التي ظلت منعزلة ، منطوية على نفسها ، محافظة على أصولها عبر التاريخ ، فهو مغلق من الناحية التضاريسية أمام أي تأثيرات خارجية ، بينما نجد القطر الليبي مفتوحا للتأثيرات الحضارية الشرقية التي كانت تتدفق عليه من مصر و الشام[3].

[1] ابن عذاري المراكشي :البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . تحقيق و مراجعة: ج.س كولان و ايليفيروفيسنال ، دار الثقافة ، بيروت : ط3 . 1983 ، ص 665 .

[2] شمس الدين أبو عبد محمد بن أحمد المقدسي : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم . طبعة ليدن.1906 ، ص 15 .

[3] السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج2 ، ص 128 .

## المبحث الثاني : دراسة تاريخية لبلاد المغرب

بعد هذا التعريف الجغرافي، نتحدث عن سكان تلك المنطقة المعروفة بالمغرب ومن الضروري أن نعرف القبائل التي كانت تعيش فيها، وميول كل منها سياسيا و دينيا، لأن هناك دول قامت على أساس التكوين القبلي و اعتمدت على تأييد و مناصرة القبائل لها.

و لا جدال أن هذه الطبيعة الجبلية المتجانسة الأقاليم المغرب ، قد انعكست على طبيعة السكان الذين عُرفوا منذ القدم بصلابتهم و مهاراتهم القتالية، مستفيدين من الظروف الجغرافية الملائمة ، حيث الممرات و المسالك الوعرة مما يجعل الدفاع عنها يسيرا[1] .

ولقد أثّرت هذه الطبيعة الجبلية الوعرة على حضارة المغرب و على سكانه ، فقد كانت لغلبة الطابع الجبلي وبُعد المسافات بين المراكز العمرانية المختلفة و صعوبة الاتصال فيما بينها أثر عميق في حياة السكان ، فقد طبعتهم بطابع الخشونة و الشجاعة و الجدّ و حبّ القتال و القدرة على التحمّل و حِدّة الخلق و العناد و المقاومة ، وهذا يفسر تأخّر فتح العرب للمغرب سنين طوال ، و فتحوا مصر و العراق و فارس في فترة لا تتزايد على عشرة سنوات ، و لم يهنئوا ببلاد المغرب حتى اندلعت فيها ثورات محلية لسبب أو لآخر[2].

و يتألف سكان المغرب من ثلاث طوائف هي :

– الروم الشرقيون : و هم البيزنطيون إضافة إلى الوافدين من **الوندال**[*] و كل المستعمرين لسواحل بلاد المغرب ن و كانت نسبتهم العددية قليلة جدا.[3]

– الأفارقة : وهم خليط جنسي فيهم من تجري في عروقه دماء السامية القرطاجية ، و منهم من انتسب إلى السلالة الارية ، أي من بقايا الروم ، أو من الايطاليين خدامهم ، و كان ولائهم غالبا لمن يسيطر على المنطقة و لبثوا حينا من الدهر ، على ولائهم للبيزنطيين و عنهم أخذوا المسيحية، ومظاهر الحضارة الرومانية ، و قد دان بعض هؤلاء بالإسلام ، وتقلّد بعضهم مسؤوليات إدارية و سياسية في ولاية افريقية أشهرهم عبد الأعلى بن جريح مولى موسى بن نصير، و عن نسب تسميتهم بالأفارقة يزعم ابن عبد الحكم أنهم تناسلوا من فارق بن بيصر ، الذي ضم تحت سلطانه – النطاق الجغرافي الذي ينحصر بين برقة و طنجة و اليهم نسبت كلمة افريقية.[4]

---

[1] إبراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة . دار النهضة ، بيروت .1980 ، ص 15 .

[2] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ج2 ، ص ص 133.132 .

[3] إبراهيم بيضون ، المرجع نفسه ، ص17 .

[4] موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 20 .

– الأمازيغ : الذين تواطأ مؤرخوا الرومان ، و الروم و العرب و الأوربيين ، على تسميتهم بكلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التنظيم الاجتماعي[1]، و هي كلمة بربرية معناها الرجل الحر الخشن و إن كنا نفضل تسمية هؤلاء بما سموا به أنفسهم أي ( الأمازيغ ) و يمثلون سكان المغرب الأقدمين و قد ملئوا سهوله ، و أريافه و ضواحيه و أمصاره و جباله[2]، أما السكان الأصليون فلا يسمّون أنفسهم بالبربر[*][3] ، كما جاء في تصريحهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) حينما ذهب إليه الوفد بعد فتح مصر ؛ فانتسبوا إليه أمامه إلى مازيغ ، و أنهم أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب " البحر الأحمر " و البحر المحيط و لم يقولو له أنهم بربر ".[4]

و الظاهر أن كلمة بربر اسم صوت جاء من أن البربر يحدثون أصوات غير مفهومة تغلب عليها الراء و الباء حيثما يتكلمون بمعنى أنهم يبربرون في كلامهم ، و قد عبر عن ذلك أحد القدماء بقوله " ما أكثر بربرتكم".[5]

وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر ، فمنهم من رأى أنهم من غسّان وغيرهم من اليمـــــن و أنهم تفرقوا حول تلك الدّيار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العرم، ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان.[6]

وقال الطبري و غيره أن البربر أخلاط من كنعان و العمالق و غيرهم فلما قتل داود جالوت تفرقوا في البلاد ( وقال الكلبي ) اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحي ، قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جُذَامُ[**] الأرض.[7]

يقال أن افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب و افريقية و قتل الملك جرجيس و بنى المدن و الأقصار و باسمه زعموا سميت افريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم و سمع رطانتهم و وعى اختلافها و

---

[1] المرجع نفسه، ص 21 .

[2] موسى لقبال ؛ المرجع السابق ، ص 21.

[3] أحمد مختار العبادي ؛ المرجع السابق ، ص 15 .

[4] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام. ج1،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1965م، ص35.

[5] أحمد مختار عبادي ، المرجع السابق، ص15.

[6] أبو الحسن بن علي بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار لافكر ؛ لبنان، ط1، 1421هـ/2000، ص149.

[*]البربرة بلسان العرب : هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ، ومنه يقال بربر الأسد اذا زأر بأصوات غير مفهومة . ابن خلدون ؛ المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 104، 105

[7] الناصري البلاوي، المصدر السابق، ص29.

[**]الجذم: هو الأصل والمنبت: منجد اللغة والأعلام، دار المشرق ، بيروت، ط31، 1991، ص83.

تنوعها تعجب من ذلك و قال :" مَا أَكْثَرَ بَرْبَرَتَكُمْ "فَسُمّوا بِالبَرْبَرْ "[2].فقد تقدم أن بلاد المغرب كلها كانت من البربر[1].

يُحكى أن الملك افريقش ، عندما غلبه الآشوريون أو الأثيوبيون هرب إلى مصر و لمّا وجد نفسه مطاردا عاجزا عن مقاومة العدو استشار قومه في أي سبيل يسلكونه للنجاة ، فأجابوه صارخيـــن : " الْبَرْبَرْ ! " أيْ إلى الصحراء معبّرين بذلك عن كونهم لا يعرفون أي حل سوى عبور النيل و اللجوء إلى صحراء افريقية [3].[2]

وسكان المغرب يشبهون العرب من حيث النظام الاجتماعي القبلي في السلم و الحرب و قبائلهم كثيرة ، و كان إخضاعهم يتطلب حروبا كثيرة من الحكومات التي تداولت حكم المغرب[3].

و أما شعوب هذا الجيل و بطونهم فان علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان و هما **بُرْنُسْ** و **مُادْغِيسْ** ، و ينقّب ماذغيس بالأَبْتَرْ فلذلك يقال لشعوبه الْبُتْرْ و يقال لشعوب بُرْنُسْ الْبَرَانِسْ (الزي القومي للمغاربة هو البرنوس الذي لا يزال سائدا حتى اليوم ، فقد اعتقد أحد المستشرقين و معه فريق من المؤرخين العرب أن بربر البرانيس و هو لباس أبيض عادة يغطي الجسم من الرأس حتى القدمين بينما البربر البدو يلبسونه مبتور الرأس ) ، و هما معا ابنا بُرْنُسْ . وبين النسّابين خلاف هل هما لأب واحد ، فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد ، على ما حدّثه عنه يوسف الورّاق ، و قال سالم بن سليم المطماطي و هاني بن مسرور و الكومي و كهلان من أبي لوا وهم نسابة البربر : إن البرانس بتر ، وهم من نسل مازيغ بن كنعان ، و البتر بنو برّ بن قيس عيلان و ربما نقل ذلك أن أيوب بن أبي يزيد ، لأن رواية ابن حزم أصحّ لأنه أوثق.[4]

يختلف المؤرّخون و النسّابة اختلافا شديدا حول أصلهم ، و علاقتهم ببلاد المغرب ، و يكادون يجمعون على أنهم عناصر طارئة على هذا الوطن ، أتت بهم الهجرات البشرية من الشرق نتيجة لظروف سياسية خاصة ، و لم نجد من بين المؤرّخين و النسّابة من يظهر برأي مقبول إلاّ ابن خلدون الذي أشار إلى أقدميتهم السحيقة في هذه البلاد ، وربما إلى أصالتهم فهو بعد أن يستعرض الرواية التي تنسبهم إلى ابراهيم الخليل ، و التي تجعلهم عناصر

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6 ، ص 105.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، دار الكتب المصرية القاهرة، 1340 هـ/1922م، ص757.

(**) وهذا التفسير لكلمة بربر متفق مع رأي من يقول أن أصل الأفارقة من اليمن، الحسن بن محمد الوزان: مرجع نفسه، ص34.

[3] الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا.ج1: ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ص34.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ص105.

جنسية مختلطة و الرواية التي تجعلهم عناصر مهاجرة ، إما من اليمن أو من مصر أو من الشام ؛ يدحض فكرة النسبة الحميرية ؛ و السامية و ينتهي إلى القول بأنهم كنعانيون من ولد حام بن نوح ؛ و اسم جدهم ( مازيغ )[1].

و أما شعوب البرانس فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام و هي أزداجة و مصمودة و أوربة و عجيسة و كتامة و صنهاجة و أوريغة[2] . و يقال وزداجة بالواو بدل الهمزة و زاد سابق المطماطي و غيره ثلاث قبائل أخر و هم لمطة و هكسورةوجزولة فتكون عشرا[3]، وتعتبر قبيلة صنهاجة أكبر قبائل البربر ، تتكون بدورها من مجموعة قبائل امتدت بطونها و فروعها إلى مختلف أنحاء المغرب ؛ فهناك صنهاجة الشمال في المغرب الأدنى و الأوسط ؛ وهي التي ساندت الدولة الفاطمية وخلفتها في حكم المغرب بعد انتقال الفاطميين إلى مصر في القرن الرابع الهجري ؛ وكانت تعرف باسم الدولة الزيرية الصنهاجية نسبة إلى اسم مؤسسها زيري بن مناد الصنهاجي و هناك **صَنْهَاجَة الجنوب**[*] التي كانت قبائلها تعيش في صحراء شنجيط أو ما يسمّى اليومبموريتانيا في جنوب المغرب الأقصى، ومن أهم قبائلها لمتونة ، و جدالة ؛ و مسوفة ، ولمطة ، و جزولة.[4] و صنهاجة أقوى قبائل البربر و أمنعها فرجالها يملؤون بطاح المغرب و سهوله و جبَاله[5].

ومن القبائل البرنسية **كُتَامَة**[**] التي لعبت دورا هاما في تاريخ المغرب ، فعلى أكتافها قامت الدولة الفاطمية[6] ، فمن ازداجة مسطاطة ؛ ومن صمودة غمارة بنو غمار بن مصطفّ بن مليل بن مصمود ، ومن أوريغة و ملْد و مغرّ و قلدن ، فمن هوّار بن أوريغ مليلة و بنو كِهْلاَنْ ، ومن ملس أوريغ سطط وورفل و أسيل و مسراتة ، و يقال لجميعهم لمّانة بنولمّان بن مند ، و يقال إن مليلة منهم ، ومن مغر بن أورينغ ماواس و زمور و كبا ومضران و من قلدن بن أوريغ فمصالة وورسطيف و بيانة و قل مليلة[7].

---

[1] موسى القبال ، المرجع السابق، ص22.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص105.

[3] الناصري السلاوي ؛ المصدر السابق ،ج1، ص 31 .

[*]صنهاجة الجنوب هم امتداد لصنهاجة الشمال ، و لكنهم كانوا يختلفون عنهم في أنهم كانوا يتلثمون أو يتقنعون ، و لهذا سموا بصنهاجة اللثام أو الملثمين، و لعلهم أخذوا هذه العادة من الزنوج أو المجاورين لهم في الجنوب ؛ و الذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة الحاسدة عنهم . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 18 .

[4] أحمد مختار العبادي: المرجع نفسه، ص18.

[5] سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، بيروت، ط1. 1985، ص12.

[**]كتامة: هم القائمين بدعوة العبيديين بإفريقية و مصر . الناصر السلاوي ، المصدر السابق ، ص31. و هم من قبائل البربر بالمغرب و أشدهم قوة ؛ و أطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس و يقال : كتم .ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6 ، ص 195.

[6] عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص14.

[7] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص105.

و أما البُتْرْ وهم بني مادغيس الأبتر فينقسم شعبهم إلى أربع قبائل و هم ضريسة و نفوسة و أداسة و بنو لواى و هم لواتة ؛ فأما ضريسة فمنهم مكناسة ومن مكناسة بنو مدرار ملوك سجلماسة و بنو أبي العافية ملوك فاس ومن ضريسة أيضا زناتة كلها ومن زناتة جراوة قوم الكاهنة داهيا – ومن زناتة أيضا بنو خزر المغراوي ملوك تلمسان و المغرب الأوسط و منهم مغراوة ملوك فاس بنو يفرن ملوك سلا وتادلا و منهم بنو زيان ملوك تلمسان و بنو مرين ملوك فاس أيضا ، فؤلاء كلهم من زناتة و زناتة هو زنا بن يحيى بن ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر ، و أما نفوسة و أداسة و لواتة فلم يكن لهم ملك يذكر ن و اعلم أن كل قبيلة من هذه القبائل الأربع عشر تشتمل على عمائر و بطون و أفخاذ و فضائل لا حصر لها[1].

وتنـــزل هذه القبائل في السهول المرتفعة أو المنخفضة ، و على الهضاب التي تمتد من طرابلس إلى تازة ، كما ينتشرون في اقليم النخيل الممتد من غدامس إلى السوس الأقصى ، و يؤلّفون أغلبية سكان القرى الصحراوية، وكذلك توجد بطون برية في اقليم التل قرب طرابلس ، و في داخل سهول افريقية، و على جبال الأوراس ، فقبيلة نفوسة تنزل بجبل نفوسة الواقع جنوبي طرابلس ، و مطماطة تنزل في اقليم الجريد التونسي ، و زناتة تنزل في المغرب الأوسط و على سفوح الأوراس[2].

ومن هنا يمكننا التحدث بإيجاز عن مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فيما يلي :

يعتبر الفتح العربي لبلاد المغرب نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة الحركة الإسلامية لتصفية الإمبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام، خصوصا و أن المغرب في ذلك الوقت كان ولاية من الولايات التابعة لها[3]. وكان من الطبيعي المعقول أن يتابع العرب فتوحاتهم بشمال إفريقيا بعدما فتحوا مصر و الشام و غيرهما من ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية.[4]

لما أتمّ عمر بن العاص فتح مصر على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ؛ و دان له أهلوها من القبط و الروم ، بالطاعة و الجزية ، إلتفت إلى برقة يدعوها إلى الله ، ومنع قدوم الروم من مصر ؛ فسير إليها جندا بقيادة أمير جيوشه عقبة بن نافع الفهري فواقعهم لها و دخلها عنوة ، ثم قصد زويلة فاستولى عليها و بثّ منها سراياه في بقية البلاد، وهكذا فتحت بلاد افريقية بعد مصر[5] ، وتشير الروايات العربية إلى أنّ عمر بن العاص أراد بعد

---

[1] الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج4، ص31.

[2] حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، 1957، ص22.

[3] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ، ص 37.

[4] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص123.

[5] عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد بن سلاه ومحمد إدريس: تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار المغرب الإسلامي، لبنان: ط1، 1407هـ/ 1987م، ص29.

استيلائه على طرابلس أن يغزوا ما ورائها من بلاد افريقية ، و أنه إستأذن الخليفة عمر بن الخطاب في ذلك ، ولكن الخليفة رفض أن يجيبه إلى طلبه و منعه من تنفيذه .... و هذا الرأي يدل على سلامة تفكير عمر بن الخطاب كقائد عربي ممتاز.[1]

لمّا كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان (**رضي الله عنه**) عزل عمر بن العاص عن مصر وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخاه من الرضاعة و أمره بغزو إفريقية سنة ستّة و عشرين[2] ، ويقال سنة 28 أو سنة 29 هجرية يأمره بغزوها و أمدّه بجيش عظيم[3] .

خرج عبد الله بن أبي سرح من القسطاط إفريقية في عشرين ألفا أواخر 29 ه( 649م ) ودخلها أوائل سنة 30ه ( 650م) و معه أكبر الصحابة و فقهائهم منهم[4] : فساروا الى طرابلس فنهبوا الروم عندها ، ثم تجاوزوها إلى إفريقية و بثوا السرايا في كل ناحية و كان ملكهم **جُرْجِير**[5] الفرسخي يملك ما بين طرابلس و طنجة تحت ولاية هرقل و يحمل إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكـــر و لقيهم على يوم و ليـــلة من سبيطلة [6]– وتعرف عند الرومان باسم سوفيطلة – دار ملكـــهم و أقامـــوا يقتلـــون و دعوه إلى الاسلام أو الجزية فاستكبر و لحقهم عبد الله بن الزبير مددا بعثه عثمان (**رضي الله عنه**) لمّا أبطأت عليه أخبارهم و سمح جرجير بوصول المدد ... و شهد ابن الزبير معهم القتال ، وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقيل له أنّه سمع منادى جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار و ازوجه ابنتي فخاف و تأخر عن شهود القتال[7] ، فلما قتل عثمان وولى أمر مصر محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة لم يوجه إليها أحدا ، فلما ولى **معاوية بن ابي سفيان بن حديج**– هو معاوية بن حديج بالخاء المهملة مصغر الكندي ثم السكوني له صحبة، وممن شهد مع عمرو بن العاص فتح مصر.[8]

فلمّا استولى معاوية بن حديج على مدينة بزرت وهي أهمّ الثغور الإفريقية ، أراد أن يستولي على جزيرة جربة ؛ لصيانة سواحل البلاد من مراكب الروم و دفع غاراته عليها ... بينما كانت الفتوحات المتعاقبة في إفريقية

---

[1] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ، ص 38.

[2] الناصريالسلاوي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 35 .

[3] أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري، فتوح البلدان ، مطبعة الموسوعات، مصر، ط1 ، 1901م ،ص234.

[4] عبد العزيز الثعالبي ، المرجع السابق ، ص 32

[5] جرجير: هو اسم أطلقه المؤرخون المسلمون على البطريق الرومي ؛ عبد العزيز الثعالبي، المرجع نفسه، ص33.

[6] سبيطلة: وتعرف عند الروح باسم " سوفيطلة" بد العزيز الثعالبي، المرجع نفسه، ص33.

[7] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص35.

[8] البلاذري، المصدر السابق، ص235

تكلل رأس معاوية بن حديج ، إذ بكتاب من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان يوافيه بالدعوة إلى الشام : فغادر البلاد من فوره و تركها معرضة لأخطار جسيمة[1] .

وينبغي بعد أن حصرنا نشاط معاوية بن حديج في حملة واحدة أن نذكر أنها ربما انتهت من عملها في افريقية على رأس الخمسين ، او قبلها بقليل و يجعل الدبـــاغ من نتائج حملته سنة 34هـــ في احتفار آبـــار حديج عند مصلى الجنائز بمدينة القيروان فيما بعد ، و في نتائج احدى الحملتين الاخريين بناء معسكر بالطوب عند جبل القرن[2] ، وقيل :" غزا ابن حديج إفريقية ثلاث مرات "[3] .

غير أن هذا القائد معاوية بن حديج لم يستمر طويلا لإخضاع إفريقية إذ عزله الخليفة معاوية وولّى مكانـــه القائد التابعي المشهور **عقبة بن نافع الفهري**،وهذه هي الـــولاية الأولى لعقبة وقد استمرت من سنة 50هـــ إلى سنة55هـــ (670-675م[4]،وكان اختيار معاويـــة بن أبي سفيان لعقبة بن نافع لولايـــة حرب افريقيـــة وضعا للشيء في موضعه الصحيح، فعقبة من أوائل جند افريقية إذ دخل برقة مع عمر بـــن العاص سنـــة 23هـــ/643-644م، وصل مرابط هناك منذ ذلك الوقت، وخلال اقامته التي بلغت حوالي ربع قرن من الزمان في هذا الثغر.[5]

رأى عقبة في بداية ولايته على افريقية أن يعمل على توطيد نفوذ المسلمين فيها [6]،فسار إليها على رأس عشرة آلاف جندي وانظم إليه كل من أسلم من أهل البلاد، وفتح بهم أماكن أغلبها بولاية تونس وكان سيره هذا بالدّاخل متجنّبا السواحل لما فيها من الحصون والمخارس البيزنطية، ويشهد التاريخ لحملة عقبة هذه بأنها حملة موفقة جديدة بأن تعدّ فتحا حقيقيا لإفريقية، كما أن صاحبها هو أحق وأجدر بلقب الفاتح من غيره ممن سبقه، وذلك لما فكّر فيه عقبة يومئذ و أهمه إقامة مدينة للمسلمين في افريقية[7].تقام بها الجمع والأعياد فاستشار من معه فقالوا نحن أصحاب ابل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر، فتسطيد علينا الفرنج[8]،وعلى هذا الأساس اختط مدينة

---

[1] عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص42.

[2] موسى اقبال، المرجع السابق، ص29.

[3] محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي: ج1: دار الفكر ، ط7، 1404هـ/1984م، ص78.

[4] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق: ص40.

[5] سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ص 183 ، 184.

[6] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق: ص41.

[7] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،المرجع السابق، ج1:ص126

[8] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص37.

[9]القيروان: كان واديا كثير الشجر، كثير القطف، انظر ابن عبد الحكم: المرجع السابق: ج1: ص264-265: غيضة لا يأوي إليها الوحوش والسباع فصاح بها عقبة أن أخرجي أيتها الوحوش والهوام بإذن الله عز وجل فبقيت أرض القيروان أربعين سنة لا يرى فيها شيء من الهوام المؤذية ولا السباع، الناصري: المصدر نفسه،ج1، ص37.

القيروان[*]، واختار لها مكانا استراتيجيا هاما .....وبعد أن أتمّ عقبة بناء القيروان أتى أمر الخليفة معاوية بعزله سنة 55ه[1] أنظر الملحق رقم (01).

لمّا تقلّد مسلم بن مخلد الأنصاري ولاية مصر، أمر بعزل عقبة بن نافع الفهري عن إفريقية وقلّدها لمولاه **أبا المهاجر**[*]،وقالوا عن ذلك بأنه لمّا قدم القيروان أبى أن ينزلها وشرع في إقامة مدينة أخرى سماها تكران المعسكر الذي أقامه معاوية بن حديج لجنوده[2]، وسار أبو المهاجر على سياسته المخالفة لسياسة عقبة العسكرية الصارمة فعمل على اكتساب البربر باللين والمداراة... فلقد واصل أبو المهاجر أعماله الحربية النشطة في اتجاه المغرب الأوسط فوصل إلى موضوع عرف بعيون أبي المهاجر وتمّ له فتح مبلة، وانتهى به المطاف إلى أبواب تلمسان حيث هزم بربر أوربة، وهو فرع من البرانس ومعهم زعيمهم كسيلة[3].

واتّفق المؤرّخون لأعمال أبي المهاجر في الفتوح بأنها كانت على جانب عظيم من الأهمية والخطورة فإنه أول من جعل غايته الأخيرة فتح البلاد وتثبيت قدم العرب والإسلام فيها، فهو لم يعاهد الروم على أن ينصرف عن قرطاجنة كما فعل غيره لقاء فدية من المال وإنما طلب إليهم أن يتنازلوا له عن جزء من البلاد لأنه لم يطلب الغنم والعودة وإنما كان يرغب في إتمام فتح البلاد وأن سياسته كانت ترمي إلى تقريب البربر وكسبهم بالمودة وحسن المعاملة[4].وهكذا أقام أبو المهاجر في المغرب إلى وفاة معاوية وخلافة ابن يزيد الذي أعاد عقبة من جديد إلى ولاية المغرب[5].

غادر عقبة دمشق لا يلقا بإفريقية فحطّ السّفر حتى دخل القيروان 64ه[683م] فعرض على أبي المهاجر و أبى أن يسجن وجعله من ملازميه وأمر بإعادة العاصمة إلى القيروان والأعراض عن تكران، ولما تمهدت له الأمور وثبّ للفتح فدعا اليه زهير بن قيس ، واستخلفه على القيروان وترك له كفاية من الجنود[6].

---

[1] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص41.

[*] أبا المهاجر و يقال مولى بني مخزوم. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص37. أول من أقام بها أبا المهاجر، اقام بها الشتاء و الصيف و اتخذها منزلا. ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 263.

[2] عبد العزيز الثعالبي ،المرجع السابق، ج1، ص46.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق،ج1،ص198.

[4] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص128.

[5] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص199.

[6] عبد العزيز الثعالبي ،المرجع السابق، ص39.

لم تكن لعقبة تلك النظرة السياسية الهادئة التي كانت لأبي المهاجر ...كما يقول هو نفسه وهذا الحماس الديني الشديد جعله يسخر من سياسة سلفه و يستهين بقوة كسيلة وأصحابه بل ويتعمد الإساءة إليهم[1]،فغزى السوس لأدنى وهو خلف طنجة وجول فيها لا يعرض له احد لا يقاتله فانصرف[2].

ويبدوا أن أخبار مقلقة قد بلغت عقبة من إفريقية ، إذا أنه لم يكد إلى يصل إلى المغرب الأوسط حتى بعث بمعظم جنده إلى القيروان على عجل ،ولم يستبق معه إلا جزءا صغيرا من جيشه: ومن العجيب أن عقبة حاول بهذا الجيش الصغير أن يقيم في الجزائر قاعدة عسكرية دائمة على غرار القيروان في تونس واختيار لهذا الغرض بلدة **تهودة**[3]، وهنا يظهر على مسرح الحوادث الزعيم البربري كسيلة في حشد كبير من البربر والبيزنطيين...ودارت المعركة عند تهودة في سنة 64هـ(286م) واستشهد عقبة وأبو المهاجر وسيفهما بيديهما[3].

ويذكر بعض المؤرّخين أن معركة تهودة أسفرت عن أسر جماعة من أصحاب عقبة فيهم محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي[4].

بعدما انتصر كسيلة على الفاتح العربي عقبة في واقعة تهودة المشهورة، ذهب توا إلى مركز القيادة العربية وعاصمة الإسلام الجديدة بإفريقية :القيروان[5].

مات يزيد بن معاوية وبويع لابنه معاوية بن يزيد وهو أبو ليلى فنادى الصلاة جامعة ثمّ تبرّأ من الخلافة وجلس في بيته ومات بعد شهرين ثم كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنه ابن الزبير ،ثم ولى عبد الملك بن مروان فستقام له الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر فولى افريقية زهير بن قيس البلوي ففتح تونس ثم انصرف إلى برقة فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا فتوجه إليهم في جزيرة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه فتبره سنان وقبورهم للدلى قبور الشهداء[6].

---

[1] أحمد مختار العبادي ،المرجع السابق، ص ص 43،42.

[2] البلاذري، المصدر السابق،ص237.

[3] تهودة: اسم لقبيلة من البربر بناحية افريقية لهم أرض تعرف بهم: شهاد: الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(ياقوت الحموي) :معجم البلدان،ج2،تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي : دار الكتاب العلمية : بيروت ،لبنان، ط1، 1990، ص438 ،ولا -يزال موضع تهودة اليوم يعرف بسيدي عقبة وهو عبارة عن واحة جميلة من النخيل بالقرب، من مدينة بسكرة في جنوب قسنطينة وهنا مقام هذا الفاتح العربي الكبير ،أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ،ص44.

[3] مرجع نفسه، ص ص 43،44.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص31.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص131.

[6] البلاذري ، المصدر السابق، ص237.

[7] حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمر و مزيقياء بن عامر بن الأسد يعتبر من القادة المشهورين في الشام و هو من سلالة ملوك الغساسنة كان مقربا من خلفاء بني أمية ، و ذا شخصية قوية ، و يتمتع بثقة كبيرة في الأوساط السياسية في دمشق ، حتى كان يلقب (الشيخ الأمين). موسى لقبال، المرجع السابق، ص 67.

بعد أن انتهت أزمة الخلافة الثانية ،وتخلص عبد الملك بن مروان من منافسه عبد الله بن الزبير ؛ إنصبّ تفكير الخليفة على المغرب فجهّز جيشا كبيرا عهد بقيادته إلى أحد مشاهير قواد الشام، وهو حسان بن النعمان(*)[1]، فمضى في جيش كبير حتى نزل طرابلس واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وطرابلس[2]، فغزا ملكة البربر **الكاهنة**(**)،فهزمته فأتى قصورا في حيّز برقة فنزلها وهي قصور يضمّها قصر سقوفه أزاح فسميت قصور حسّان ، ثم أن حسان غزاها ثانية فقتلها و سبي سبيا من البربر وبعث به إلى عبد العزيز فكان أبو محجن نصيب الشاعر يقول لقد حضرت عند عبد العزيز سبيا من البربر ما رأيت قط وجوها أحسن من وجوههم[3].

عندما رجع حسّان بن النّعمان إلى المشرق وقدّم لعبد الملك بن مروان تقريرا عمّا أنجزه من أعمال في إفريقية ووضع بين يديه الأموال والغنائم شكره و أجزر له العطاء وعينه ممن جديد والي على افريقية... ولمّا سمع عبد العزيز بن مروان –والي مصر–نبأ تعيينه واليا وضمّ برقة إليه–استدعاه وجرى بينهما نقاش حاد أظهر أثناءه حسّان تصلّبا وعنادا وتصرف عبد العزيز اعتمادا على قرابته من الخليفة تصرفا غير كريم تجاه أكبر قادة الفتح في افريقية ، وانتهى اللقاء بين الرجلين بتمزيق والي مصر لعقد التولية، وتعيين **موسى بن نصير**(***)،حلف لحسان، ورجوع هذا الأخير إلى دمشق[4].

فتح طنجة ونزلها وهو أول من نزلها واختط فيها للمسلمين وانتهت خيله إلى السوس الأدنى وبينه وبين السوس الأقصى نيف وعشرون يوما فوطنهم وسبى منهم وأدوا إلى الطاعة وقبض عامله منهم الصدقة ثم أولاها طارق بن زياد مولاه وانصرف إلى قيروان إفريقية[5].

وهكذا نجد أن الفتح العربي للمغرب قد مسّ صميم الحياة المغربية ونقلها من حال إلى حال فهو يختلف تمام الاختلاف عن الفتوحات السابقة له....وهذا التّحول الفريد الذي طرأ على بلاد المغرب كانت له آثار إيجابية

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص261.

[2] ابن عبد الحكم : المصدر السابق، ج1، ص269.

(**)الكاهنة(82هـ/701م) هي ملكة بربرية اسمها داهية بنت تابنت بن تيفان ؛كانت زوجا لرجل من رؤساء قبيلة جراوة إحدى قبائل البترا العظيمة المقيمة بجبل(أوراس) جنوب قسنطينة وينتهي نسب هذه الملكة إلى جد هذه القبيلة المسماة (جراو). عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق، ص148.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص237.

(***)موسى بن نصير بني أمين وأصله من عين التمر ويقال بل هو من أراشة من بلاة ويقال هو من لخم والي على افريقية ويقال بن واليها في زمن الوليد بن عبد الملك سنة89 :البلاذري :المصدر السابق، ص238.

[4] موسى اقبال، المرجع السابق،ص93.

[5] البلاذري، المصدر السابق،ص238.

في فتح الأندلس بعد ذلك ،لأن معظم قبائل البربر أخذت بعد إعتناقها الإسلام تتوق إلى الحرب والجهاد، هذا نجد أن معظم القائمين بفتح إسبانيا كانوا في الواقع من البربر، أمّا العناصر العربية فكانت أقليّة ضئيلة بالنسبة لهم[1].

حمل المغرب مشاعل الحضارة بيديه الاثنتين طيلـــة القرون الوسطى بعد أن امتزجت الحضارة العربية بالحضارة المغربية الكنعانية في القرن السابع الميلادي، وعندما فتح العرب المسلمون المغرب الكبير أو شمال إفريقية بقيادة البطل العربي عقبة بن نافع، انتشرت الدعوة الإسلامية في ربوع الفسيح وقد لقيت معارضة من بعض القبائل الكنعانية "البربر" في أول الأمر في حين كانت قد استقبلت من بعض السكان والقبائل الأخرى بالترحيب والإقبال على إعتناق الدّيانة "الإسلامية" ولم يمض قرن واحد من الزمن حتى كان الإسلام قد إنتشر إنتشارا واسعا في بلدان المغرب الكبير من الحدود المصرية إلى المحيط الأطلسي، فظهر السكان ووحّدهم في بوتقة الإيمان وأصبحوا جميعهم بنعمة الله إخـــوانا بعد أن ظهر الإسلام من الشرك وانتشلهم من براثن الوثنية[2].أنظر الملحق رقم (02).

---

[1] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق،ص50.

[2] نجيب زيبب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس ، تقديم : أحمد ابن سودة، دار الأمير/لبنان،ط1، 1410هـ/1995م، ص9.

# الفصل الأول

## نشأة الحركات المذهبية ودخولها بلاد المغرب الاسلامي

- المبحث الأول: الحركة الشيعية
- المبحث الثاني: الحركة الخارجية

كان لشخصية الرسول (صَلى الله عَلَيْهِ وَ سَلمَ) أثـــر كبير في نفوس العرب حتى أنهم لم يصـــدقوا خبر وفاته، فلما تحققوا من ذلك شك فريق منهم في أمر هذا الدين الذي أتى به ،وارتد كثير منهم عـــن الإسلام لأنه لم يكن قد تغلغل إلى قلوبهم بعد ، فأخذ كبار الصحابة يفكرون في أمر المسلمين ليواجهوا الموقـف الجديد ورأوا أنه لا بد للمسلمين من رئيس يتولى شؤونهم ويتدبر أمورهم .

فولى أمور المسلمين أبـــو بكر الصديق (رَضِيَ الله عَنْهُ) بيعة من الصحابة في سقيفة بني ساعدة حتى أتته المنية فقام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيعة من المسلمين بعهـــد من أبي بكر الصديق (رَضِـــيَ الله عَنْهُ) ؛ وبعده عثمان بن عفان الأموي (رَضِيَ الله عَنْهُ) ؛ بيعة من المسلمين له بعد انتخابه من قبل أهل الحل و العقد –الذين رشحهم عمر بن الخطاب للقيام بالمهمة– ، حتى قتل ظلما ، ثم قـــام من بعده علي بن أبي طالب ، بيعة له لكونه المرشح الثاني من قبل أهل الحل و العقد بعد عثمان بن عفـــان (رَضِيَ الله عَنْهُ) .

وكان من أثـــر ذلك ظهور الانقسام بين صفوف المسلمين كما ظـــهرت فرق كل واحدة بآرائهـــا ومذاهبها كالشيعة و الخوارج و **المرجئة** (*) **والمعتزلة** (**) و غيرها خاصة بعد موقعة صفين وعمـــلية التحكيـــم.

إن المسلمين قد اختلفوا إلى مذاهب في الاعتقاد و السياسة و الفـــقه و أن هذا الاختلاف لم يتناول لـــب الدين كوحدانية **الله تعالى** ، وشهادة محمد رسول الله (صَـــلى الله عَلَيْهِ وَسَلمَ) ولا في أصول الفرائض كالصلوات الخمس و الزكاة و الحج و الصوم و إنما الإختلاف في أمور لا تمس الأركان و لا الأصول العامة ، بل الاختلاف في المذاهب السياسية التي تدور كلها حول الخلافة وهـــي الإمامة الكبرى[1] .

---

(*)**المرجئة** : ظهرت خـــــلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، وقد سميت هذه الطائفة بالمرجئة من الارجاء وهو التأخير لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث . عبد القـــاهر البـــغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . تحقيق: محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة . 1997 ، ص 19 . محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني ؛ الملل و النحل . ج 4، تحقيق: أمير علي مهنا و علي حسن فاعور ؛ دار المعرفة ، ط3، 1993م، ص 186 ، وكانت العقيدة الأساسية للمرجئة عـــدم تكفير أي إنسان أيا كان مهما ارتكب من المعاصي ما دام اعتنق الإسلام و نطق بالشهادتين . أبي محمد علي بن أحمد ابن حـــزم ؛ الفصل في الملل و الأهواء والنحل .ج4 ، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمـــن عميرة ، طبعة القاهرة ، 1330هـــ ، ص 204.

(**)**المعتزلة** : وقد اختلف واصل بن عطاء الغزل الفارسي مع أستاذه الحسن البصري الفقيه المشهور في مسألة المؤمن العاصي الذي ارتكب ذنبا كبيرا ، هل يسمى مؤمنا أم لا ؟ فيقول واصل بمنزلة بين المنزلتين ؛ وقد انتحى واصل ناحية بعيدة عـــن المسجد و أخذ يشرح رأيه لزملائه من التلاميذ الذين اتبعوه ؛ فكان الحـــــسن يقول للذين التفوا حوله أن واصلا "اعتزل عنا" و من ثم أطلق خصوم واصل عليه وعلى أتباعه اســـم المعتزلة . البغدادي، المصدر السابق ، من ص 98.97 . وتتكون عقيدة المعتزلة من خمسة أصول : التوحيد ، العـــدل ، الوعيد ، و القول بالمنزلة بين المنزلتين ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر . حسن إبراهيم حسن ، تـــاريخ الإسلام . ج1 ، دار الجيل ، بيروت ، ط14 . 1996م ، ص 342 .

[1] محمد أبو زهرة ،تاريخ المـــذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي ، القـــــاهرة، دون تاريخ ، ص ص 21،20.

وبعد بيان هذا نتكلم في المذاهب السياسية و هي الشيعة و الخوارج و أهـــل السنة و المحدثون و لا يهمنا في هذا المقام أهـــل السنة و المحدثون بل سنركز على الشيعة و الخوارج لعلاقتهما ببلاد المغرب و الصراع الدائر بينهما و بين القبائل البربرية.

## المبحث الأول: الحركة الشيعية

### المطلب الأول: التعريف بالمذهب الشيعي

**الشيعة لغة** هم الصحب و الأتباع و الشيعة : القوم الذين يجتمعون على الأمر ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شِيعَةٌ ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَعٌ ، و قال الأزهري : ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا و ليس كلهم متفقين[1].

**وقال الجواهري رحمه الله** : "شِيعَةُ الرَجُلِ أَتْبَاعُهُ وَ أَنْصَارُهُ" ويقال :شَايعه كما يقال وَالاَهُ من الوالي .. و تَشَيَّعَ الرَّجُلُ أي إِدَّعَى دَعْوَةَ الشِّيعَة ، وتشايع القوم صاروا شِيَعًا ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَعٌ ، وقوله تعالى :{ **كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ** }[2]. أيْ أمثالهم من الشيع الماضية[3].

والشيعة الأتباع و الأنصار و كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، ثم صارت الشيعة نبزًا ــ أيْ وصفًا لجماعة مخصوصة ــ و جمع شيع مثل سدرة وسدر ، و الأشياع جمع الجمع وشيعت رمضان ستة من شوال أتبعته ها ، وشيعت الضيف[4]. كقوله تعالى :{ **فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ** }[5]. وفي قوله تعالى : { **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيم** }[6]. وشايعتك على كذا تابعتك على كذا، وتشايعوا على الأمر وهم شيعة و أشياعه و هذا الغلام شيع أخيه وُلد بعده [7].

أما **الشيعة اصطلاحا** فقد أطلقت على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلى نظر الأمة ، و يتعين القائم بها بتعيينهم بل إنها ركن الدين وقاعدة الإسلام و لا يجوز لنبي إغفالها و لا تفويضها إلى الأمة: بل يجب عليه أن يعين الإمام للأمة و يكون معصوما من الكبائر و الصغائر [8] و الشهرستاني يعرف الشيعة بأنهم الذين شايعوا عليًا (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**) على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا

---

[1] جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن منظور، لسان العرب . مج8، تحقيق : عبد الله علي الكبير ،محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، 1955م، ص 1021.

[2] القرآن الكريم ،سورة سبأ ،الآية54.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم الصحاح. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين : ط 4، 1990م، ص 329.

[4] أبي العباس أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . ج1 ، دار الحياء التراث العرب ، 1954 ، ص 126

[5] القرآن الكريم ،سورة القصص، الآية 15 .

[6] القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية 83 .

[7] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة . راجعه وقدمه: إبراهيم قلاتي ، دار الهدى ، عين مليلة ، ط2 ، 1998 ، ص 332.

[8] ابن خلدون ،المقدمة . ضبط وشرح: محمد الإسكندراني ، دار الكتب العربي ، بيروت، 2006، ص ص ، 196،197.

ووصية ، إما جليا و إما خفيا ، واعتقـــدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكـــون من غيره أو بتقية من عنده[1].

والشيعة أقدم المذاهب السياسية الإسلامية ، وقد ظهروا بمذهبهم في عصر عثمـــان بن عفّان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، ونما وترعرع في عهد علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ )، إذ كـــان كلّما اختلط بالناس إزدادوا إعجابا بمواهبه و قوة دينه و علمه فاستغل ذلك الإعجاب و أخذوا ينشرون آرائهم فيه ، ما بين رأي فيـــــــه مغالاة ، ورأي فيـــه الاعتدال ، ولمّا اشتدت المظالم على أولاد علي في عهد الأمويين(*) [2]كثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم وهم ذرية رسول الله (صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَمَ) و رأى الناس فيهـــم شهداء الظلم فاتسع نطاق المذهب الشيعي و كثر أنصاره[3].أنظر الملحق رقم(03).

كما كان التشيع للخليفة الرابع عـــلي بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) مبدأ تفرق هذه الأمة المحمديـــة في دينها و في سياستها ، وكان مبتدع أصوله يهودي اسمه **عبد الله بن سبأ**.(**)

أظهر الإسلام خداعا للمسلمين، ودعا إلى الغلو في علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ) لأجل تفـــــريق هذه الأمة وإفساد دينها ودنياها عليها، وسبـــب ذلك ما كان من العداوة و القتال بين قومه اليهود و بين النبي صلى الله عليه وسلم[4].

والشيعة نشأت في مصر إبتداء من عهد عثمان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، إذ وجـــد الدعاة فيها أرضا خصـــبة ، وعمت العراق و إتخذت لها مستقرا و مقاما ، فإذا كانت المدينة ومكة وسائر مدائن الحجاز مهدا للسنة والحديث و الشام مهدا لنصراء الأمويين فقد كان العراق مقاما للشيعة[5].

---

[1] الشهرستاني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 146 .

[2] (*)تعتبر موقعة كربلاء سنة 61هـــ قد وحدت صفوف الشيعة و أثارت في نفوسهم الحماسة للأخذ بثأر الحسين بن علي كما أذكت مأساة كربلاء روح التشيع بعد أن كان رأيا سياسيا نظريا لم يصل إلى قلوب الشيعة ، ولكن التشيع امتزج بعد مقتل الحسين بدمائهم ، وأصـــبح عقيدة راسخة فـــي نفوسهم و انتشر التشيع بين الفرس الذين تربطهم بالحسين رابطة المصاهرة فهم يرون أنه يجمع بين أشرف دم عربي وأنقى دم فارسي . حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2 ، ص 8 .

[3] محمد أبو زهرة ، المرجع السابق : ص ص 32.33 .

(**)عبد الله بن سبأ الهمداني في بعض الروايات ، و الحميري في روايات أخـــرى كان يهوديا من أهـــل صنعاء وكانت أمه حبشية فأطلق عليه ابن السوداء ،أسلم في زمن عثمان وكان من الذين يؤلهون عليا رضي الله عنه ، والـــشيعة أصحاب عبد الله بن سبأ ، هم غلو شديد في علي ، ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح . ابن تيمية : منهاج السنة النبوية . ج8 ، تحقيق: محمـــــد رشاد سالم ، دار الكـــتاب العلمية ، ط1. 1986م ، ص 479.

[4]محمد رشيد رضا، السنة و الشيعة أو الوهابية والرافضة – حقائق دينيه و تاريخيه واجتماعية واصلاحية-. دار المنار ، القاهرة ، ط2. 1947م ، ص 4

[5] محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص 34. ويعـــود ســـبب ذلك كون العراق مـــهد الشيعة ، فعلي أقام به مدة خلافته ورماهم زياد ابن أبيه بالقوة ولم يقتلعها من قلوبهم واستمر ابن زياد على نهجه إلى عهد الحجاج الذي اشتد في قمعهم وكلما اشتد قمعه زاد المذهب الشيعي في نفوس معتنقيه ، والعراق فوق ذلك ملتقى الحضارات القديمة من فرس وكلدان وحيث فلسفة يونانية و لا غرابة أن تثمرا الأفكار الشيعية فيها ، حيث الفرس ينظرون للملك نظرة فيها تقديس ، ونظروا هذا إلى علي و أن طاعة الإمام واجب وطاعته طاعة الله .أحمد أمين ، فجر الإسلام . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط10 . 1969 ، ص 65.

وفرق المذهب الشيعي كثيرة منها السبئية ، والغرابية ، والبيانية ، والمغيرية ، والهاشمية ، والخطابية ، والعلبائية ، والكيسانية [*] والجارودية، والسليمانية ، والصالحية ، والبترية [**] والنصيرية، ولكن سنتطرق للفرق الباطنية لكونها حكمت بلاد المغرب .

والشيعة الإمامية هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي نصا ظاهرا وتقيا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين[1].

وهي في عمومها أكبر المذاهب الشيعية القائمة الآن في العالم الإسلامي [2]فمنهم معتدلون قريبون من الزيدية ، ومنهم غلاة قريبون من الباطنية وهم الذين لحقوا ببعض تعاليمهم الأحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغرها في زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم[3].

وكما اتفق الإمامية فيما بينهم على أن عليا وصي عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالنص،و بالتالي قرروا أن الأوصياء من بعد علي هم أولاده من فاطمة ، الحسن ، ثم الحسين رضي الله عنه وهؤلاء هم المجمع عليهم و قد اختلفوا من بعد ذلك على فرق مختلفة في الأئمة بعد هؤلاء ، بل قيل أنهم قد اختلفوا من بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة و أعظمها فرقتان: "الاثنا عشرية" و "الإسماعيلية" يوجدون الآن في العراق وإيران وقليل في سوريا ولبنان و كثير من البلاد الإسلامية وهم يتوددون إلى من بجاورهم من السنيين و لا ينافرونهم[4].

ويلقبون بالجعفرية وهم درجات ينقسم جمهورهم إلى أصوليين و إخباريين كما ينتسبون إلى محمد الإمام الثاني عشر فهيتان ،الصغرى وابتدأ عمره سنة 255هـ وتنتهي بموت أبيه في 260هـ ، والغيبة الكبرى ، وتبدأ من اختفائه أخيرا في سنة 265هـ إلى الآن ولهذا يعتقد الإمامية الاثناعشرية أن محمد سيظهر ويملأ الأرض عدلا و من ثم سمي الإمام المنتظر وصاحب الزمان القائم بالأمر و الحجة[5].

---

[*] الكيسانية: فرقة بائدة ، و هم أتباع كيسان كان تلميذا لمحمد الحنفية و تعتقد الكيسانية فيه إعتقادا فوق الحد. الحسن بن موسى النوبختي، سعد بن عبد الله القمي، فرق الشيعة . تحقيق : محمد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، القاهرة ،ط 1. 1992م، ص38.

[**] البترية: فرقة من الزيدية قيل منسوبة الى المغيرة بن سعد وكان لقبه الأبتر،وقيل هم أصحاب بشير النومي وقيل أصحاب كثيرالنواء الأبتر لأنه كان أبتر اليد، و قيل سموا كذلك لأنهم تبرأوا من أعداء الشيخين فأبتروا أنفسهم. المصدر نفسه، ص 20.

[1] النوبختي و القمي : المصدر نفسه ، ص 21.

[2] محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص 46 .

[3] محمد رشيد رضا، المرجع السابق،ص12.

[4] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص48.

[5] النوبختي و القمي : المصدر نفسه ، ص 87 .

أما الإمامية الإسماعيلية فهي فرقة من فرق الشيعة أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية و التي وجدت من قبل ظهور الإسماعيلية [1]، و هي تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق و لهم ألقاب كثيرة عرفوا بها غير لقب "الإسماعيلية" منها : الباطنية وإنما أطلق عليهم هذا اللقب لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويل ويطلق عليهم القرامطة[*]، وقد عرفوا بهذين اللقبين في بلاد العراق ، ويطلق عليهم في خرسان التعليمية و الملحة ، وإنما يقولون: نحن الإسماعيلية لأن تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم[2].

والإسماعيلية هي إحدى طوائف العلوية الذين ثاروا سنة 122هـ/740م ، على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بقيادة **زيد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب** [*][3]، فاجتمع حوله العلويين بالكوفة لكن جماعة من رؤوسهم اختلفوا في حكم إمامة الشيخين ففارقوه ونكثوا بيعته [4] حيث بعد موت الإمام جعفر بن محمد الصادق سنة 148هـ ، افترقت الشيعة إلى قسمين أو فرقتين ، فرقة قالت بإمامة ابن الأصغر موسى الكاظم وهو الإمام السابع و هؤلاء هم [5]الشيعة الأثنا عشرية ، وفرقة نفت عنه الإمامة و قالت إن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل ،وهذه الفرقة عرفت بالإسماعيلية [6]، ومن الطريف أن مؤرخوا الإسماعيلية وعلمائهم يرون سبب انشقاق أتباع جعفر الصادق إلى هاذين الشعبتين ، فقال بعضهم إن جعفر الصادق نص على أن يتولى إسماعيل الإمامة من بعده ولكن إسماعيل توفي في حياة أبيه ، وبذلك انتقلت الإمامة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب و لا تنتقل من أخ إلى أخيه في حالة الحسن و الحسين ابني **علي بن أبي طالب** فقط أما الأئمة بعد الحسن و الحسين فلا بد من أب إلى ابن ... وبما أن إسماعيل بن جعفر الصادق كان صاحب الحق الشرعي في الإمامة بعد أن نص أبوه على ذلك فلا بد إذن أن تتسلسل الإمامة في ابنه محمد بن إسماعيل[7].

---

[1] محمد كمال حسين ، طائفة الإسماعيلية – تاريخها ، نظمها ، عقائدها – ، مكتومة للنشر و الطبع، القاهرة ، ط1 . 1959 ص3.

[*]القرامطة : اسم ظهر على عهد الإسماعيلية في عهد الستر عندما كانوا في سليمية ،وهي نسبة إلى حمدان بن الأشعث الفلاح المعروف بقرمط خلال القرن 3هـ واستمرت إلى 5هـ وهي متطرفة قالت بالألهة أو الحرية الجنسية المطلقة . عارف تامر : الحاكم بأمر الله الخليفة وإمام ومصلح . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط1 ، 1982،ص 13 .

[2] الشهرستاني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 192 .

[*][3]زيد بن علي هو أول علوي حاول بعد نكبة كربلاء انتزاع الخلافة من الأمويين خلال ثورة قام بها على رأس أهل الكوفة ، لكن عامل الخليفة الفاطمي هشام وهو يوسف بن عمر الثقفي الذي كان يقيم بالحيرة حيث قضى عليه وقد اعتبر شهيدا و أطلق على فرقة الزيدية . حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية . القاهرة . 1985 ، ص 29 .

[4] ابن الأثير : المصدر السابق ،ج 4، ص246 .

[5] إسماعيل بن جعفر كان أكبر أولاد أبيه، حيث كانت وفاته في حياة أبيه سنة 145هـ. حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص ص 29،28 .

[6] طاهر البغدادي، المصدر السابق، ص 62

[7] محمد كمال حسين، المرجع السابق، ص12.

حمل الإسماعيلية طوائف كثيرة بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام وبعضهم انحرفوا خاصة المتصلين بالبراهمة و اليوذيين ، ولقد كانت السرية التي أحاطوا أنفسهم بها مدعاة لانقطاعهم عن جماهيرية الأمة ، فلم يستأنسوا بما كان عند السنيين ، وكلما إشتد الكتمان إشتد معه البعد ؛ و أنهم قد بلغ بهم الكتمان درجة أن يكتبوا الكتب و الرسائل و لا يعلنون عن أسماء كاتبها ، كرسائل إخوان الصفا ولهذا سموا بالباطنية ولقولهم أن للشريعة ظاهر وباطن[1].

أما الشيعة الزيدية فهي فرقة علوية ، وأن المذهب الشيعي نشأ من خلال جدل وصراع سياسي اجتماعي في صدر الإسلام حول موضوع الإمامة ، ومن المعلوم أيضا أن وصول الأمويين إلى الخلافة مغالبة أدى إلى تصدر الشيعة قوى المعارضة ، و من خلال تلك المعارضة ولد المذهب الزيدي في ظروف عصيبة بعد استشهاد الحسين[2] .هذه الفرقة هي أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالا وهي لم ترفع الأئمة إلى مرتبة الأنبياء بل إعتبرهم أفضل الناس بعد الرسول (**صلى الله عليه**)[3]وسلم و لم يكفر واحد من صحابته . وإمامهم زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ، وقد خرج على هشام بن عبد الملك بالكوفة فقُتل وصُلب ، حيث كان يحدّث نفسه بالخلافة ، ويرى أنه أحق بها[4] .

والزيدية لا يؤمنون بأن الإمام الذي أوصى به النبي (**صلى الله عليه و سلّم**) قد عينه بالاسم و الشخص بل عرفه بالوصف بأنه علي بن أبي طالب ومن بعده يجب أن يكون هاشميا وفاطميا أي من ذرية فاطمة رضي الله عنها، وأن الإمام زيدا يرى جواز إمامه المفضول إن اختاره أهل الحل و العقد في الأمة إمام وحجتهم في ذلك أنها لا تستحق على وجه الإرث ولا جزاء على الأعمال[5].

**المطلب الثـــاني: حركة التشيع في بلاد المغرب الإسلامي:**

دخل التشيع إلى بلاد المغرب بانتقال التيارات المذهبية المتقدمة عليه أو المعاصرة له بواسطة المعارضين و السياسيين و حتى التجار والحجاج أو حتى بواسطة المؤلفات ، لأن المغرب مثل غيره من بقية الأقطار الإسلامية الأخرى كان مفتوحا لمختلف المذاهب و التيارات السياسية و الفكرية التي تظهر بالمشرق مركز الحضارة الإسلامية[6].

---

[1] محمد أبو زهرة: المرجع السابق ، ص ص:53،51 .

[2] محمود إسماعيل، فرق الشيعة بين التفكير السياسي و النفي الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص32 .

[3] ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، ج2، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص466 .

[4] المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص181 .

[5] ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 144.

[6] مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص65

ويقال أن أول من نشر أفكار الشيعة منيب بن سليمان المكناسي ، نزل بأعمال تيهرت ونواحي الونشريس فنشرها هناك بين العامة ، ثم جاء بعده السفياني و الحلواني[1].

ويرى البعض أن الدعوة الشيعية وجدت منذ عهد جعفر الصادق (ت148هـ/764م) الذي بعث في أواخر حياته سنة 145هـ ، باثنين من الدعاة هما : **الحلواني**[*] ، و **أبو سفيان** وأمرهما بنشرها وقال لهما فما معناه "بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها ومهداها ، حتى يجيء صاحب البذر" وذكر القاضي النعمان هذا الصدد أنه : أمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حد البربر ثم يفترقان ... فلما وصلا إلى مرماجنة وهي مدينة قديمة في منطقة الكاف –تونس نزل أبو سفيان بموضع يقال له "تلا" وهي مدينة في الشمال المغربي من تونس تقرب من مدينة الكاف .

فتشيع من قبله الكثير من أهل مرماجنة وكذلك أهل الأربس – تقع غرب جبل زغوان بينهما وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام[2] .

كما نشر أبو سفيان المذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد قسطيلية ، أما الداعي الثاني فقد تقدم حتى وصل سوحمار –سوق حمار ، أو حمار أو حماد– فنزل موضعا يقال له الناظور – حصن الناظور يقع بنواحي بجاية – فبنى مسجدا وتزوج امرأة فاشتهر ذكره وضرب الناس من القابل إليه ، وتشيع كثير منهم على يديه من كتامة ونفزة وسماتة[3].

أما الداعي الثاني –الحلواني– واصل سيره عربا وقام ببناء المسجد لاستعماله مكانا للاتصال بالإتباع، أو نشر المذهب ، كما تظاهر بالفضل كي يلفت حوله الناس ، وبفضل جهوده تشيع كثير من الناس من أهل كتامة و غيرهم ، وبالتالي لما جاء أبو عبد الله الشيعي بعد مئة وخمس وثلاثين سنة وجد الأمر ممهدا منتشرا ببلاد قسطيلية[*] وغيرها[4] .

ويمكن أن نستنتج مدى مرونة الدعوة الشيعية ، وتدرج القائمين بنشرها من مرحلة إلى أخرى مع مراعاة الظروف و الأحوال ، حيث استعملوا نظام اللامركزية ، وذلك بتعدد مراكز انطلاق الدعوة للتبشير بها ، ومن بين تلك المراكز في بلاد المغرب بلاد قسطيلية ، وهذا يدل على نضج هذه الدعوة و انتشارها بالمغرب قبل قدوم الداعي الشيعي الأكبر[5].

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1،ص 228 .

[2] البكري، المصدر السابق، ص46.

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص58، 59.

([*])القسطيلية: هي كورة واسعة من بلاد الجريد التونسي، ومن مدنها :توزر، سونفطة والحامة وتشتهر بكثرة نخيلها. البكري ،المصدر السابق، ص84.

[4] مرمول محمد الصالح، المرجع السابق، ص32.

[5] المرجع نفسه، ص33.

إضافة إلى عمل الأدارسة في هذا الميدان حيث حببوا آل البيت في نفوس البربر مما سهل مهمة الفاطميين، الذين وجدوا النفوس مستعدة لتقبل أي حركة جديدة تنسب إلى آل البيت و البيئة صالحة للبذر الطيب كالذي زرعه ورعاه الأدارسة الحسينيون كما يمكن القول أن مذهب مالك بن أنس وهو مذهب كافة مسلمي المغرب باستثناء الخوارج من خلال معرفة صلة مالك بأشهر أئمة الإسماعيلية وسادسهم وعالمهم : جعفر بن محمد الباقي ، فقد أخذ مالك عنه و تأثر به و اعتبر من أقرب المقربين إليه ومن المؤيدين لنشاط العلويين . ولنظامهم من أجل حقهم الشرعي حتى إمتحن في سبيل ذلك ، على يد أبي جعفر المنصور.

واستمر الدعم وقويت مساندة سكان المغرب الأقصى للأدارسة ، نظرا لأنهم علويون ومن نسل شريف و لأن فحجهم كان زيديا ، أي معتدلا في العقائد و في الإمامة الكبرى ، ونفس المساندة نقيها هؤلاء من جمهور السنة لما بين مذهب زيد بن علي ومذهب أهل السنة من تقارب في طريقة اختيار الإمام . وإنما حدث في بلاد المغرب من حركة انفصالية تجديدية ، وبما نشأت عن بواعث عنصرية أو إقليمية ، وما حدث في افريقية من رد فعل طبيعي ، صدر عن أصول مذهبية ، كان هذا كله أمرا طبيعيا له ما يبرره من طبيعة العصر ومزاج المجتمع البربري ، وهذا لا يبطل دعوى أن التشيع استطاع في ظل دولة العبيديين أن يفرض نفسه ، وإن يطبع الحياة بطابع منه ، وأن يهيئ لنفسه السلطان و الأسباب التي تمكن له[1].

[1] موسى القبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، المرجع السابق، ص207.

## المبحث الثاني: الحركة الخارجية

### المطلب الأول: التعريف بالحركة الخارجية

الخوارج من الناحية اللغوية مأخوذة من الخروج من مصدر خرج ، ولهذا الأصل تعاريف عدة رجع بها ابن فارس إلى معنيين ، الأول : النفاذ عن الشيء و الثاني : اختلاف لونين فمن الأول : الخراج و الخرج أي الإتاوة ، ومن الثاني ، الخرج : لونان من سواد وبياض ومنه أرض مخرجة ، إذا كان نباتها في مكان دون مكان ، ويقال خرجت خوارجه ، أي ظهرت بحابته [1]، ويوم الخروج أي يوم العيد ، وخرج فلان في العلم و الصناعة خروجا إذا نبغ وخرجت السماء أي صحت وانقشع عنها الغيم [2]. و الخوارج جمع خارج و هو الذي خلع طاعة الإمام الحق[3].

ويعرف الشهرستاني الخارجي بأنه : كل من خرج على الإمام الحق الذين اتفقت الجماعة عليه ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان على التابعين بإحسان و الأئمة في كل مكان توسعت كلمة الخارجي لتشمل كل من يثور على السلطان أو الدولة [4].

حيث ارتبط ظهور هذه الفرقة بظهور الشيعة ، فقد ظهر كلاهما كفرقة في عهد علي (**رضي الله عنه**) وقد كانوا أنصاره و إن كانت الشيعة فكرتها أسبق من فكرة الخوارج[5] ، ويتفق عدد وافر من الباحثين على أن الخوارج هم الذين خرجوا عن علي في **حوروراء**[*] و النهروان[6].

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ج2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1. 1991، ص175. (2)-الزمخشري، المرجع السابق، ص 160 .

[2] الزمخشري ، المرجع السابق، ص160.

[3] النوبختي و القمي، المصدر السابق، ص 19 .

[4] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 114 .

[5] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 58 .

[*] حوروراء: بفتحتين وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة : يجوز أن يكون مشتقا من الريح الحرور ، وهي الحارة ، وهي بالليل كالسموم بالنهار ، كأنه أنث نظرا إلى أنه بقعة ، وقيل : هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنسبوا إليها ، وقال ابن الأنباري : حزوراء كورة ، وقال أبو منصورة الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج وهما كان أول تحكيمهم وتجمعهم حين خالفوا علي قال : ورأيت بالدهناء رملة وعدة يقال لها رملة حزوراء . ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص245.

[6] الشنتوي أحمد، دائرة المعارف الإسلامية. ج8، دار المعرفة، بيروت. 1993، ص ص 470،469 .

ولقد سجلت وقائع التاريخ أن بداية ظهور الخوارج كانت مع أحداث معركة صفين أثناء **قضية التحكيم**[*]، ومن هنا يتضح أن معركة صفين كانت القطرة التي أفاضت الكأس ، واتضح بعدها توزع الأمة إلى ثلاث اتجاهات هي جماعة علي (**رضي الله عنه**) ، وجماعة معاوية ، وجماعة لامع هذا ولا ذاك بايعت عبد الله الراسبي 38هـ/658م- أنصار علي رضي الله عنه في حروبة ثم أنكر التحكيم وخرج عليه - عرفت فيما بعد بتسميات عديدة لقبها الشهرستاني بالخوارج[1].

ولكن أمر الخوارج عجيب: فإنهم لم يبنوا خروجهم على أمر معقول يبرر هذا الخروج ، لأنهم هم الذين أشاروا هذا التحكيم ، وأن عليا لم يقبله إلا بعد أن أكرهوه على قبوله ، فكيف يخرجوا على ما أبرموه ؟ ورددوا مقولتهم المشهورة "لا حكم إلا لله" فرد عليهم علي "كلمة حق أريد بها باطل"[2].

ولقد امتاز الخوارج بالقسوة و السبب في ذلك أنهم من عرب البادية ، وقليل منهم من كان عرب القرى ، وقد كانوا في فقر شديد قبيل الإسلام ولما جاء الإسلام لم تزد حلتهم المادية حسنا ، لأنهم استمروا في البادية ، ومع سذاجة تفكيرهم وضيق في التصور ، وبعد عن العلوم ، تكونت من تلك الجموع نفوس متعصبة ومتهورة ، ضف إلى ذلك حسدهم قريشا على الخلافة والدليل أن أغلبهم من القبائل الربعية التي قامت بينها و بين القبائل المضرية أمور الجاهلية[3].

ويمكن تلخيص نظرية الخوارج في الخلافة حق لكل عربي حر ، وأنه إذا اختير الخليفة فلا يصح أن يتزل عنها، وإذا جار استحلوا عزله أو قتله إذا اقتضت الضرورة لذلك ثم أدخلوا بعض الشروط فشرط الإسلام والعدل بدل العروبة ، ولا سيما حين انضم إلى صفوفهم كثير من المسلمين من غير العرب ، وجعلوا حق الخلافة شائعا بين جميع المسلمين الأحرار و الأرقاء[4].

---

[*]: عملية التحكيم : عندما اشتد القتال بين علي ومعاوية ، في صفين وذاق معاوية حر القتال ، وهم بالفرار حتى أسعفته فكرة التحكيم فرفع جيشه المصاحف ، ليحكموا إلى القرآن الكريم ، ولكن عليا أصر على القتال ، حتى يفصل الله بينهما ، فخرجت عليه خارجة من جيشه تطلب إليه أن يقبل التحكيم فقبله مضطرا لا مختارا ؛ ولما اتفق مع خصومه على أن يحكم شخصين أحدهما من قبل علي و الآخر من قبل معاوية ، فاختار معاوية عمر بن العاص و أراد علي أن يختار عبد الله بن عباس ؛ ولكن الخارجة حملته على أن يختار أبي موسى الأشعري ، وانتهى أمر التحكيم إلى عزل علي وتثبيت معاوية بعد خديعة عمر بن العاص. أبو جعفر محمد بن جرير بن غالب الطبري: تاريخ الرسل و الملوك. ج3؛ تحقيق: محمد الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2. 1967، ص 113 .

[1] سعيد مراد: الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديم وحديثا. عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط2. 1999، ص68 .

[2] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص ص307،308.

[3] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ص 61،62.

[4] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج1، ص317 .

وقد تعددت فرق الخوارج فمنها الزيدية ، والبهيسية ، العجاردة و الشعيبية ، كما اشتهر بين هذه الفرق الخوارج **الأزارقة** [*]. **والنجدات** و الصفرية و الإباضية حيث جعلها الأشعري أصل بقية الفرق[1]. وسنفصل في الإباظية والصفرية لعلاقتهما ببلاد المغرب وسكانه البربر .

**الصفرية** : هم أصحاب زياد بن الأصفر [2]، وآراؤهم أقل تطرفا من الأزارقة و أشد من غيرهم وهو لا يكفر الذين قعدوا عن القتال ، وماداموا متفقين في الدين و الاعتقاد ، وقال : إن التقية جائزة في القول دون العمل أو لم يحكم بقتل أطفال المشركين و لا بتكفيرهم أو تخليدهم في النار و فرق بين الكبائر التي يلزم فيها و التي لا حد عليها كترك الصلاة أو السرقة[3].

ومن الصفرية أبو بلال مرداس وكان رجلا صالحا، خرج في أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة و لم يتعرض للناس ، وكان يأخذ من مال السلطان ما يكفيه إن ظفر به ولا يريد الحرب ، فأرسل إليه عبد الله بن زياد من قتله، ومن الصفرية أيضا "عمران بن حطان" وكان شاعرا زاهدا قد طوف في الأقاليم الإسلامية ، فارا بنحلته ، وقد انتخبه هؤلاء الخوارج إمام لهم بعد أبي بلال[4].

الاباضية : وهم أتباع **عبد الله بن إباض التميمي** [*] ، ويختلفون عن بقية فرق الخوارج في أنهم لم يغلوا في الحكم على مخالفيهم[5]، وهم أكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيرا ، ولهذا بقوا وهم فقه جيد وعلماء متميزون ، ويقيم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الكبرى ، الذين تتكون منهم الأغلبية الساحقة من الخوارج في المغرب ، وبعض الآخر في بلاد زنجبار[6].

وقد سجل التاريخ نشأة الاباضية وظهورها على الساحة السياسية في البصرة و بالتحديد في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان 65هـ/68هـ، وفي القرن الثاني الهجري تحول مركز الثقل في الاباضية إلى عمان بفضل الأثر الذي تركه جابر بن زيد ومن عمان انتقل الإشعاع الاباضي نحو الهند و الصين و الشواطئ الإفريقية

---

[*] الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق الذي كان من بني حنيفة وكانوا أقوى الخوارج شكيمة وأكثرهم عددا وأعزهم نفرا، وهم الذين تمقوا الصدمات الأولى من ابن الزبير و الأمويين. الطبري، المصدر السابق، ج 3، ص 397 .

[1] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ص 63.62.

[2] البغدادي، المصدر السابق، ص 93.

[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص ص185.184 .

[4] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص74

[*] عبد الله بن إباض: نسبت إليه الاباضية، و انما نسبت اصطلاحية فحسب و إلا فان نسبهم-في الواقع- الى الإمام جابر بن زيد الأزدي: و يلقب أبي الشعثاء صاحب ابن عباس أخذ العلم عنه وعن عائشة و أنس بن مالك و عبد الله بن عمر، كما نسبت الإباضية الى عبد الله بن إباظ من طرف الامويين و لم يرضوا بها إلا بعد أن انتشرت و تقبلها الناس و استخدموها.موسى لقبال: المرجع السابق: 164.

[5] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج1، ص 320 .

[6] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 76 .

كما أصبحت مصر مركزا للدراسات الاباضية ، ولكن الدور الذي سيلعبه رجال المذهب في المغرب سيكون حاسما في المرحلة الأولى من تاريخ الإسلام في هذه البلاد[1].

**المطلب الثاني: الحركة الخارجية في بلاد المغرب الإسلامي**

لقد وجد البربر المسلمون تناقضا صارخا بين تعاليم الإسلام ومبادئه بما تنطوي من عدل ومساواة و بين سياسة الأمويين الأواخر الجائرة ، فأقبلوا على اعتناق **مذهب الخوارج** في جوهره مذهب ثوري ديمقراطي اشتراكي ، حيث يرتبط ظهور هذا الأخير وانتشاره في بلاد المغرب بعاملين أساسيين :

**أولهما:** التطور السياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري بعد فشل ثوراتهم إلى إتباع أسلوب الدعوة و التنظيم السياسي واختيار أطواف العالم الإسلامي ميدانا لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة و الاضطهاد من طرف الأمويين.

**وثانيهما:** ملائمة الأحوال السياسية و الاجتماعية في بلاد المغرب من أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني لتقبل هذا المذهب وانتشاره[2].

كما وجد مهاجروا الخوارج في بيئة المغرب نموذجا للبيئة المثالية ، وتربة مهيأة لزرع آرائهم وبث دعوتهم وتقوية صفوفهم ، وكان الرباط على الثغور و السواحل المغربية من الإسكندرية حتى طنجة بل أربونة بقصد العبادة والحراسة ، ومن أهم ما أعان الخوارج على نشر مذهبهم في نطاق الشرعية المحاطة بالسرية التامة ، وممارسة التجارة و الرحلة للكسب كعامل مهم في نشر الأفكار و العادات لاسيما الفكرة الخارجية[3].

وليس من الشك سبيل في أن مبادئ الخوارج بما تنطوي عليه من تمسك بالشريعة من الجانب العقائدي و ثورية في قوامها السياسي و بساطة ووضوح في جوانبها الفكرية ، وجدت في ظروف المغرب الإسلامي و طبيعة سكانه المكان الملائم لها[4].

وقد أقبل البربر على تعاليم الخوارج المنادية بالمساواة بينهم و بين العرب ، وفتحوا للخوارج صدورهم واحتضنوهم، وبمعنى آخر اكتسبت نزعة الاستقلال عند البربر بفضل مذهب الخوارج ، طابعا ثوريا دينيا ؛ فالتقى البربر مع الخوارج في موقفهم من عدو مشترك ممثل في السلطة الأموية[5].

---

[1] عدون جهلان، الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش. جمعية التراث، القرارة، الجزائر. 1999، ص37 .

[2] محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب وحتى منتصف القرن الرابع الهجري. دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب ، ط2، 1985، ص 24.

[3] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص153 .

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص40.

[5] حسن أحمد محمود، انتشار الإسلام و الثقافة العربية في إفريقية، القاهرة، 1963، ص 164 .

كما حاول هؤلاء الدعاة تغيير أفكار البربر واتجاهاتهم السياسية و الدينية ، وكانت فرق الخوارج التي لجأت إلى بلاد المغرب من جماعات الصفرية و الاباضية حيث كانت فرق الخوارج الأخرى المعروفة بالتشدد مثل الأزارقة قد تهاوت في المشرق تحت ضربات الأمويين العنيفة[1].

وقد اختلف البربر في مدى تقبلهم التعاليم فانتشرت الصفرية بين بربر القسم الجنوبي من المغرب الأقصى في المناطق الجبلية الممتدة من السوس الأدنى إلى جبال درن بينما اعتنق بربر المغرب الأوسط و القسم الشمالي من المغرب الأقصى تعاليم الاباضية [2]، وإلى جانب الصفرية و الاباضية كان هناك المتطرفون الغلاة من البربر الذين يدعون إلى إقامة حكومة بربرية دينها الإسلام ولغتها البربرية ، وظهرت هذه النزعة في برغواطة عند إتباع صالح بن طريف[3].

وخلاصة القول ، ساعدت أحوال بلاد المغرب في أواخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن الثاني على نزوح الخوارج المضطهدين في المشرق إلى بلاد المغرب لنشر دعوتهم بين البربر وتحقيق ما فشلوا فيه من قبل من أهداف.[4]

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص55 .

[2] عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ج2 ،ص 310.

[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص55.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص 11.

# الفصل الثاني

## نجاح الحركات المذهبية وتبني البربر لها

- المبحث الأول: نجاح الحركة الشيعية
- المبحث الثاني: نجاح الحركة الخارجية

## المبحـــث الأول: نجـــاح الحـــركة الشيعية:

### المطلـــب الأول : الدعوة الزيدية ونجاحها بين قبائل أوربة البرنسية :

بعد فشل عدة ثورات علوية وقمعها بكل قوة من قبل العباسيين ، آخذ العلويون إلى السكينة طيلة ربع قرن 145 169هـــ أي إلى خلافة موسى الهادي أين عين على خراسان والٍ سيء السيرة ، مما نفر سكانها بزعماء العلويين ، فوجدها العلويون فرصة سانحة للثأر لقتلاهم عام 145هـــ/762م فأرسلوا المبعوثين إلى خرسان لبث دعوتهم وأخذ البيعة للرضي من آل محمد ، مما دفع بالخليفة العباسي الضغط على العلويين خاصة من بالمدينة وفرضت عليهم شبه إقامة جبرية.[1]

وفي موسم الحج من سنة 169هـــ استنفر الحسين العلويين وجاءه أبناء عبد الله بن الحسن يحي و سليمان و إدريس [*]، عندئذ انطلق الجميع نحو الجامع فدخلوا وبايعوا الحسين ، فدارت حرب بين العلويين و الوالي وانهزم العباسيين واستولى العلويين على المدينة و أقام بها أحادي عشر يوما وهو يتجهز للخروج إلى مكة[2] ، وانتهى المطاف بالحسين إلى مدينة فخ[*] ، وكان الجيش العباسي متفوق على الجيش العلوي عدة وعدد لذلك كانت نتيجة المعركة محسومة لصالح العباسيين ، وفي الواقع لم تكن هناك معركة بل مجزرة بدأت فجر يوم السبت 8 ذو الحجة 169هـــ/11جزيران 786م.[3]

وقد قتل الحسين مع أكثر أنصاره وجمعت الرؤوس التي قطعت فكانت أكثر من مئة رأس ؛ وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ ، واصل العباسيون وحاولوا استئصال العلويين نهائيا ، ولكن يشاء القدر أن ينجو من تلك المجزرة إدريس و أخوه يحي – بن عبد الله بن الحسن اشترك بثورة الحسين بن علي وفر بعد المعركة إلى بلاد الديلم في الشرق – واختار إدريس طريق المغرب ، واختياره للمغرب ليس عبثا بل عن تخطيط مدروس إضافة إلى ضرورة الابتعاد عن مركز الدولة العباسية ومناطق الولاء

---

[1] اليعقوبي: المصدر السابق، ج2، ص136 .

[*] إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، ولد في المدينة المنورة ، محمود إسماعيل، الأدارسة. حقائق جديدة. مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991، ص ص 34.33

[2] سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب والعصر الذهبي(172-223هـــ)(788-835م). دار النهضة العربية، بيروت، ط1. 1987م. ص51.

[*] فخ : هو وادي في طريق مكة يبعد عنها بحوالي أميال انهزم عنده العلويين هزيمة نكراء وقتل فيها معظمهم. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص467 .

[3] البكري: المصدر السابق، ص118 .

التام[1] ، وكانت الدولة الزيدية الاعتزالية وصلت إلى المغرب ومهدت لقيام دولة الأدارسة -نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن- أنظر الملحق رقـــم (05)، حيث أن جهود الزيدية في المغرب بدأت بعد قيام الخلافة العباسية[2] . حيث يقول ابن الخطيب :" كان للزيدية من الحسينيين الطالبين ذرية علي بن أبي طالب دعوة زاحموا بها أيام العباسيين "[3]. وأول من وصل إلى افريقية من دعاة الزيدية عيسى بن عبد الله الذي أنقذه **محمد النفس الزكية**[*] ، وأجابه خلق كثير من البربر و مع ذلك عاد أدراجه من عيون العباسيين أو المشاركة في الثورات البربرية[4].

وبعد الكارثة التي حلت بالعلويين بفخ ، عاد سليمان —أخو محمد النفس الزكية- إلى تلمسان بدعوة الإمامة يحيى بن عبد الله الذي نجح في تأسيس دولة بطبرستان ؛ ثم لحق به إدريس بن عبد الله للمرة الثانية من أجل الدعوة لأخيه يحيى لذلك فلما علم بنهايته أقام الدعوة لنفسه. وفي نفس الوقت وصل إلى إفريقية —لنفس الغرض- داوود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهذا يعني أن الدعوة الزيدية واصلت مسيرها بعد معركة فخ[5] . و الثانية أن إدريس بن عبد الله عندما وصل تلمسان للمرة الثانية ومنها انتقل إلى طنجة واتصل بزعيم قبيلة أوربية كان يعد العدة لتأسيس دولة علوية بالمغرب الأقصى ؛ ودليلنا على ذلك أنه إبان رحلته من مكة عبر مصر إلى المغرب كان يرافقه **مولاه راشد**[**] الذي لم يكن اختياره عبثا إذ نعلم أنه ينتمي في نسبه إلى قبيلة أوربية[6] .

وهذا أمر يتيح لإدريس الاتصال بإسحاق بن محمود بن عبد الحميد زعيم أورية[7] لتأسيس الدولة المنشودة ، ولم يكن دور راشد مجرد دليل ، ذلك أن إدريس كان على دراية بمسالك المغرب الذي قدمه من قبل كداعية لمحمد

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مصور للطباعة و الوراقة، الرباط المغرب، 1972، ص.15.

[2] سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة، المرجع السابق، ص48 .

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 188 .

[*] محمد النفس الزكية : بويع محمد بن عبد الله —النفس الزكية بالخلافة في المدينة ؛ وهو أخو إدريس الأكبر وكان فيمن حضر البيعة يومئذ وبيعه أبو جعفر المنصور العباسي و أخوه السفاح، ثم نكث المنصور بيعته وقتله سنة 145هـ—762م. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص182

[4] سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة، المرجع السابق، ص 48.

[5] البكري ، المصدر السابق، ص 122 .

[**] راشد بن منصف الأوربي كان قد سبي مع أخيه في غزوة موسى بن نصير، نقل مع أبيه إلى المشرق وهو صغير، ثم أتى مع إدريس ليدله على المغرب. سعدون نصر الله، دولة الأدارسة، المرجع السابق، ص 49 .

[6] المرجع نفسه، ص49.

[7] يذكر ابن أبي زرع "... فنزل إدريس على صاحبها إسحاق الأوربي المعتزلي ، فأقبل عليه إسحاق وأكرمه وبالغ في بره ، فأظهر له أمور إدريس أمره وعرفه بنفسه ، فوافقه على حاله وأنزله داره وتولى خدمته و العناية بشؤونه . ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 19 .

النفس الزكية ؛ إذن مهمة راشد كانت تمهيد الاتصال إدريس وإسحاق الأوربي لتأسيس دولة بني إدريس —وقد أجمعت المصادر على اعتناق إسحاق مذهب المعتزلة– وهذا يؤكد اندماج دعوتي الزيدية و المعتزلة في بلاد المغرب قبل قيام دولة الأدارسة.[1]

اغتنم إسحاق بن محمود مناسبة حلول شهر رمضان فجمع الأوربيين وقدم إليهم الإمام إدريس سليل رسول الله "عليه الصلاة و السلام" فقالوا له : الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ... فما تريد منا ؟ قال تبايعوه ، قالوا سمعا وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته و ما يريد[2] ، فبايعوه **بمدينة وليلي**[*] يوم الجمعة 4 رمضان 172هـ/ 6شباط 786م ، على السمع و الطاعة و القيام بأمره[3] .

كانت قبيلة أوربية وفيرة العدد قوية الشكيمة تفرض سيطرتها على منطقة زرهون اجتمعت حول الإمام إدريس ونصرته وعدت القبائل المجاورة لمبايعته ؛ فلبت الدعوة وبايعته قبيلتا مغيلة وصدينة[4] .

ودشّن إدريس قيام دولته بخطبة هامة[5] تنم عن براعته السياسية إذ حرص على إرضاء كافة القبائل على اختلاف مذاهبها ؛ وخالية من أي ذكر للتشيع الأمر . الذي يوضح أهمية الهدف السياسي بامتياز ، حيث آزره المعتزلة والمالكية و الأخباق ، وأدرك إدريس الأول ببصيرته خطورة إظهار تشيعه حتى لا يحدث فرقة في وقت كان فيه بحاجة إلى توحيد لكافة الفرق و المذاهب ، وفيما بعد انتشر مذهب المعتزلة بين قبائل أوربة و زناتة ومراحة ، وغلب مذهب مالك على إمارة نكور وسلا وأصيلة وبلاد القبلة لجهاد البهود ، ووجد مذهب أبي حنيفة طريقه إلى المغرب الأقصى بعد قيام الخلافة العباسية ، كما بدأت ارهاصات التشيع تجتاح المغرب الأقصى مع الدعوة الزيدية و الاعتزالية مهدت لقيام **الدولة الإدريسيّة**[**] .أنظر الملحق رقم (05).

وبمجرد أن اطمأن إدريس الأول لتدعيم دولته قضى على ما بقي هنالك منتشرا بالبلاد من عقائد المجوسية و اليهودية و النصرانية و مذاهب الاعتزال ووحد كلمة المغاربة حول الدولة العلوية الجديدة.[6]

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص ص 244.243 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص147.

[*] وليلي: هي مدينة متوسطة كثيرة المياه و الزيتون محاطة بسور عظيم، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص19 . وقد تمت مبايعة الإمام إدريس بدءا من هذه المدينة.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص83 .

[4] الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص155 .

[5] "الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه ، وعاقبة السوء لمن عانده ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية ... أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) والى العدل في الرعية و القسم بالتسوية ... اعلموا عباد الله أن من أوجب الله على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته وعصيته باليد و اللسان وفرض الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ". محمود إسماعيل الأدارسة . المرجع السابق، ص 57.

[**] الدولة الادريسية (172-311هـ/788-923م) تنتسب إلى ادرس بن عبد الله بن الحسن. عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1 ، ص182

[6] محمود إسماعيل الأدارسة، المرجع السابق، ص58.

وبما أن الأدارسة حسينيون وباعتبارهم علويين ، أصبحوا مركز جذب لكل المحبين لآل البيت وبلاحظ أن احتلاطهم بالسكن عن طريق المصاهرة و الجوار واحتفاظهم بمذهبهم الزيدي مع ترك رعاياهم في إطار المذهب السني ، وهذه العوامل كلها سبب بقائهم في المنطقة لمدة طويلة حتى أصبحوا بلديين أو مواطنين وقد اكتسبوا ذلك أيضا عن طريق أمهاتهم وزوجاتهم من بين السكان ؛ وهنا يفهم لماذا انتشرت فروعهم في أرجاء من المغرب بين الأوسط و الأقصى بين مضارب البتر ومضارب البرانس أيضا ؟.[1]

ويبدوا أن استيلاء إدريس الأول على **تلمسان**[*] أدخل في قلوب العباسيين وعمالهم في افريقية ونظرا لاضطراب افريقية آنذاك وافتقار العباسيين إلى أسطول في البحر المتوسط يمكنهم من نقل الجيوش للقضاء على دولة إدريس ، لجأ الخليفه هارون الرشيد إلى الحيلة في التخلص منه بالتواطئ مع إبراهيم بن الاغلب عامله على **بلاد الزاب** [**][2]. فقتل إدريس الأول بالسم بعد أن تظاهر له بأنه طبيب في آخر ربيع الأول 177هـ/16 تموز 793م.[3]

لكن الدولة التي وطد إدريس الأول أركانها صمدت في وجه المتآمرين إذ سامها الموالي راشد حتى ونذت جارية إدريس ابنه إدريس الثاني ؛ وتعهد راشد بالوصاية حتى تم اغتياله أيضا ، وبالمثل صمدت دولة الأدارسة بعد راشد ؛ إذ خلفه خالد بن إلياس العبدي في الوصاية على إدريس الثاني حتى شب عن الطوق وتولى حكم دولته.[4]

خلّف إدريس اثني عشر ولدا ، فآلت الإمامة إلى أكبر أبنائه وهو محمد بن إدريس ففرق البلاد على إخوته بأمر من جدته كنزه مما أدى إلى خلافات وحروب ، وهكذا امتد حكم الأدارسة ببلاد المغرب من السوس الأقصى إلى مدينة وهران وكانت حاضرة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة ببلاد **المغرب الأقصى** وقد زال ملكهم بعد أن حكموا قرنين وثلاث سنين (172-375هـ) إن تأسيس دولة بني إدريس لم يكن حدثا عفويا بل كان تتويجا

---

[1] موسى لقبال، دور كتامة. المرجع السابق، ص 208 .

(*)تلمسان: تقع على طريق التجارة بين المشرق و المغرب وهي الثغر الأول للدفاع عن دولة الأدارسة ضد أخطار الأغالبة في افريقية. محمود إسماعيل، الأدارسة. المرجع السابق، ص62 .

(**)بلاد الزاب : هي إقليم في وسط مغارات نوميديا، ويمتدأ غربا من نجوم مسيلة ؛ ويحد شمالا جبال مملكة بجاية ، وعند شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى القفاز ؛ وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية ويشمل هذا الإقليم خمس مدن وهي بسكرة ، البرج، نقطة، طولقة، ودوسن . الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق. ج2، الأخضر: بيروت، لبنان، ص138.

[2] ابن عذارى: المصدر السابق،ج1 ،ص211.

[3] المغرب الأقصى: هي مدينة أحدثها آل إدريس. ابن حوقل، المسالك و الممالك، المصدر السابق، ص 55 ، وقد بناها الأمير محمد بن إدريس شمال المغرب استحضارا لبصرة التي استشهد على مقربة منها الإمام علي . عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم. ج4، أكاديمية المملكة المغربية. 1967، ص22 .

[4] حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام. المرجع السابق، ج3 ، ص 174.

لنضال الشيعة الزيدية في المشرق ودعوتهم التي احتوت دعوة المعتزلة في المغرب ، وقد شكلت قبيلة أوربة العصبية التي امتدت طموحاتها مع أهداف الدعوة الزيدية في إقامة دولة إدريسية[1].

**المطلب الثاني: الدعوة الإسماعيلية ونجاحها في قبيلة كتامة البرنسية:**

راجعت الدعوة الإسلامية في المغرب رواجا عظيما على أيدي دعاة ابن حوشب كالحلواني وأبي سفيان، وتسنت الدعوة هناك على يد داعيه وتابعه **أبو عبد الله الشيعي**[*][2]كان وقع الاختيار عليه لما يتميز به من صفات قيادية بارزة من علم وذكاء ومقدرة في التعامل مع الناس، ويعتبر المؤسس الفعلي لدولة العبيديين[**] الفاطمية، في بلاد المغرب، حيث أرسله بعد موت الداعيتين الحلواني وأبو سفيان ، ثم أوضح له " أن أرض كتامة من المغرب حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لهما غيرك ، فبادر فإنها موطئة ممهدة لك "[3].أنظر الملحق رقم (08).

وقد التجأ أبي عبيد الله الشيعي إلى الوسيلة غير المباشرة للاتصال بكتامة [4]من خلال التعرف على حجاجها، والغريب أنه لم يقصد مجالسهم مباشرة بل بقي يسقط حديثهم فلما رآهم يتحدثون عن فضائل آل البيت بحماسة قوية استحسن ذلك ووجدها فرصة سانحة وانظم إليهم واسترسل في حديث عن نفس، الاتجاه مستخدما مهاراته في الكلام مع حجة ساطعة وبيان ساحر، فأعجبوا به ورغبوا منه أن يبقى على اتصال بهم فلبى ذلك، ولما سؤل

---

[1] محمود إسماعيل، الأدارسة، المرجع السابق، ص64.

(*)أبو عبد الله الشيعي: أبو عبد الله الشيعي حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، 1967، ص 60. .....بعدة القلب تدل في مجموعها على شهرته وقيمته وتنوع نشاطه ومنها الشيعي وهو أشهرها ثم الصنعاني، نسبه إلى صنعاء باليمن وهو مسقط رأسه، كما عرف في افريقية بالأهوازي لان مدينته هرمزالي قيل انه ولد فيها من نواحي خوزستان، وقد أطلقه عليه أحد شيوخ كتامة من باب .....، موسى القبال، دور كتامة، المرجع السابق، ص234.

[2] حسن إبراهيم حسن: طه احمد شرف، عبد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1947، ص.116

(*)أبو عبد الله الشيعي: أبو عبد الله الشيعي حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1: تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، 1967، ص 60: كُني بعدة القلب تدل في مجموعها على شهرته وقيمته وتنوع نشاطه ومنها الشيعي وهو أشهرها ثم الصنعاني، نسبه إلى صنعاء باليمن وهو مسقط رأسه، كما عرف في افريقية بالأهوازي لان مدينته هرمزالي قيل انه ولد فيها من نواحي خوزستان، وقد أطلقه عليه أحد شيوخ كتامة من باب التقية، موسى القبال، دور كتامة، المرجع السابق، ص234.

(**) الدولة الفاطمية: دولة شيعية إسماعيلية ينسب خلفاءها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق وبعرف بالإسماعيلية ، حسن مؤنس أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، ص179، كما تنسب إلى فاطمة بنت الرسول (ص) وزوج علي بن أبي طالب وعرف بالدولة العلوية نسبه إلى علي وحتى أحيانا الدولة العبيدية نسب إلى عبيد الله نفسه، حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، المرجع السابق، ص143.

[3] المقريزي، المصدر السابق: ج1، ص60.

[4] كتامة: هم أبناء كتام أو كتم بن برنس واختلفت الآراء حول أصل كلمة كتامة فمنهم من قال بأنها اسم علم لشخص ومنهم من قال بأنها جاءت من الكتمان، وبطون كتام تجمع في ولديه الاثنين ذغرنس وسودة وعنها تفرعت بطون كتامة كلها. بوريان الدراجي: المرجع السابق، ج2، ص198.

عن وجهته بعد انتهاء المناسك فأجابهم مصر التي هي طريقهم الوحيد إلى أرض المغرب، فزاد سرورهم بدوام صحبته، وفي الطريق عومل كضيف شرف[1].وأثناء الطريف بدأ الداعي بأسلوبه الخاص يتعرف على أحوال بلاد المغرب تدريجيا وقد بان له من الحديث معهم أن بينهم عناصر متشيعة فبدأ يخطو الخطوة الثانية التي خصصها للتعرف على شؤون بلادهم وعلى نوع حياتهم السياسية والثقافية والاجتماعية وعلى طبيعة علاقاتهم في المنطقة خاصة مع الأغالبة[2].

لقد دخل الشيعي **منطقة أكجان** (*) بأرض كتامة في منتصف شهر ربيع الأول سنة 280 هـ/893م[3] حيث نشط الداعي في حركة الدعوة وبقي كذلك مدة تفوق سبع سنوات وكان الدعاة الذين يختارهم لسائر نواحي كتامة يلقبهم بالمشاريح والمقدمين، وكان نجاحهم عظيما بين سكان النواحي البعيدة عن الحواضر عكس الرؤساء، وعمال مدن كتامة، الذين تباطؤوا في الاستجابة خوفا على امتيازاتهم الخاصة وإنكارا لهذه الحركة السرية من جهة أخرى[4].

وعندما فرض النظام والصرامة والأمن ازدهرت الناحية الاقتصادية واتبعت علاقات سائر فروع كتامة فجاءت الوفود من سائر القبائل ومنها وفد قبيلة مسانتة ووفد قبيلة عثمان ، ثم وفد أجانة[5] ،وأخذ أمره يزداد وخطوة يستفحل، ولما بلغ خبره إلى إبراهيم بن الأغلب (273-289هـ/851-902م) أرسل إلى عاملة على **ميلة** (**)يستفسر عنه فقلل من شأنه مما جعل الداعين يلجأ إلى الاستتار و الأمن خواصه، ثم فارق ايكجان إلى قلعة تازروت حيث ظهر من الاستتار وبدأ يباشر عمله الحربي ضد حواضر كتامة وقبائلها المعادية[6].

بعد ذلك قويت شوكة الداعي واتسعت حركة الدعوه بانضمام قبائل عثمان ولهيصة وجميلة وملزوزة ومزاتة ومجموع مسانتة وأجانه و لطاية ثم عجيسة وزواوة وغدت المنطقة خالصة لرجال الدعوة لا ينازعهم في السيطرة سوى عمال المدن الكبرى وإسراء بني الأغلب[7].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص66.

[2] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص63.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص127.

(*)إكجان: جبل قرب قسنطينة في قبائل كتامة، المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص76، وهي تابعة إداريا الآن إلى دائرة العين الكبيرة بولاية سطيف. مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص41

[4] القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص87.

[5] موسى لقبال : دور كتامة ، المرجع السابق ،ص 219.

(**)ميلة: بينها وبين قلعة حماد أربعة مراحل، وهي مدينة أولية كثيرة الأشجار والثمار ومياهها كثيرة. البكري : المصدر السابق: ص63، وهي مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد نحو الثي عشرة ميلا. الحسن الوزان، المصدر السابق: ج2: ص60.

[6] موسى لقبال :دور كتامة، المرجع السابق،ص60.

[7] المرجع نفسه، ص257.

وكان الشيعي قد أرسل إلى الإمام عبيد الله المهدي المستودع سعيد الخير بن عبد الله بن ميمون القداح[1]،في سليمة رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليه ويستقدمونه فاستجاب لذلك ووصل هو و القائم بأمر الله ولد سنة 278 ه في مدينة الأئمة المستورين سلمية في سورية لقـــب بابن القاسم و توفي في مدينة المهـــدية سنة 334 ه .[2]إلى مصر سنة 291 متنكرا في زي تاجر الكن الخليفة العباسي المكتفي اصدر أوامره بالإمساك به وفي هذه الأثناء كان اليسع بن مدرار قد اكتشف أمر عبيد الله المهدي فسجنه هو وولده أبا القاسم فلما علـــم أبو عبد الله الشيعي عزم على السير إلى سجلماسة[3] لتخليصه من السجن وبالتالي واصل احتلال المدن حيث احتل تيجس ثم بغاية سنة 294 ثم تيفاس وتبسة ثم قسنطينة سنة 295ه، ثم توجه نحو بلاد قسنطينة أين احتل بها عدة مدن مثل قفصة ونفطة سنة 296.[4]

بعد ذلك استخلف أخاه أبا العباس المخطوم، وأبا زكي تمام بن معارك الاجاني، ونهض إلى سجلماسة عاصمة بني مدرار لإخراج عبد الله المهدي المعتقل بها[5]. وخرج يجر وراءه جيشا اضطرب له المغرب الأوسط، فقضى على دولة بني رستم وامتلك تاهرت وانتحى بجيشه ناحية المغرب الأقصى فاستولى في طريقه على عدم مراكز وتابع سيره إلى سجلماسة فشن عليها الغارة وقضى على عاملها اليسع من بني مدرار وخلص إلى المهدي وولده أنقذهما من الأسر ورجع إلى رقادة[6]. فوصلها في العشرين من ربيع الأول سنة 297 ه ونزل المهدي في قصور من قصور تلك المدينة وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين ولعله قد اتضح الآن ما أسهمت به كتام من جهود وتضحيات في سبيل إعلائها ورفع بنائها ولسنا مغالين إذا قلنا انه لعلا كتامة ما سمح للفاطميين بدولة في افريقية وما قام لهم حكم بها[7].

كان المهدي يهدف إلى سياسة تركيز السلطات وجمعها في افريقية في يده وكان لابد له أن يصطدم في ذلك مع أبي عبيد الله الشيعي وأخوه أبا العباس، فآخذو أبو عبد الله منذ ذلك الحين يدعو الناس إلى خلعه ، فقرر المهدي التخلص من جميع المتآمرين بما فيهم عبد الله الشيعي وكان ذلك سنة 298هـ[8].

---

[1] حسن إبراهيم حسن ،طه أحمد شرف، المرجع السابق ،ص 143-169.

[2] عارف تامر: تاريخ الإسماعيلية من المغرب الى المشرق . ج 2 ، رياض الريس ، لندن ،ص ص، 13:14

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1،ص 127.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1،ص 127.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص214.

[6] عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية، دار الثقافة، القاهرة، 1991، ص49.

[7] السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص602.

[8] موسى لقبال، دور كتامة، المرجع السابق، ص332.

ويلاحظ أن أغلب فرع البتر خاصة زناتة، كان قد ختم عليهم جو أشبه بجو الإجماع على إظهار العداء للفاطميين، وأنصارهم من البرانس ، خاصة كتامة وعجيسة، وزواوة ثم صنهاجة، ولم يكن هذا العداء وليد الأحداث التي أدت إلى قيام الدولة الفاطمية فقط ، بل كان قديما قدم الدعوة الإسلامية في أرض كتامة[1].

ولفرع البتر وزناتة من المبررات ما يجعلهم يقفون موقفا عدائيا من الحركة الجديدة التي تمخضت عن دولة جديدة، لعل من أهمها أن الداعي اختار مضارب البرانس لنشر حركته وبناء دور هجرته وانصرف عن مضارب البتر مع أن كثير منهم كانوا على صلة بالعلويين[2]

وبالتالي كان القيام بالثورات على عبد الله أثر كبير في حملة على بناء مدينة يتخذها عدة عند الشدائد، كما فكر في محاولة فتح مصر أو الأندلس، فقد رأى المهدي بعد أن امتد نفوذه في بلاد المغرب أن هذه البلاد لا تصلح لان تكون مركزا لدولته، فضلا عن ضعف مواردها كان يسودها الاضطراب وتشتعل فيها الثورات من حين لآخر[3].

ولما توفي عبيد الله المهدي سنة 322ه بويع ابنه أبو القاسم بالخلافة في 14 ربيع الأول322ه وتلقب بالقائم بأمر الله ولقد واجه هذا الخليفة الكثير من الصعوبات في تدعيم سلطانه في المغرب[4]،فبالنسبة لأكبر خطر واجهه الثورة التي قام بها أبي يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد من قبيلة يفرن الزناتية: الذي جاهر بعدائه للفاطميين سنة 332ه فسانده شيوخ المالكية من أجل نبذ الدعوة الشيعية فاشتد أمره، حتى أن القائم اضطر للفرار من رقادة وأقام في المهدية، وهزم الفاطميون في موقعة بغاية 333ه[5].

وبعد وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم بالأمر لابنه أبي العباس إسماعيل[*]، هذا الأخير ركز كل جهوده للقضاء على ثورة أبي يزيد الذي انهزم في حصاره لمسوسة في شوال 334ه ففر إلى القيروان، فمنعه أهلها من الدخول[6]

فدخل عنوة إلى القيروان ، فلما علم أبو زيد بدخوله تقدم على رأس جيش كبير لمهاجمته واقتتل الطرفان قتالا شديدا أسفر عن هزيمة مخلد بن كيداد في 5 محرم 335ه، ففر أبو يزيد وطاردوه رجال الخليفة حتى تمكنوا من

---

[1] موسى اقبال، دور كتامة، المرجع السابق، ص332.

[2] المرجع نفسه، ص332.

[3] محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة،1995، ص27.

[4] المرجع نفسه، ص29.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص303.

(*)أبي العباس إسماعيل: اسمه إسماعيل لقب " المنصور بالله" كنيته " أبو طاهر" وكان يغتبط عندما ينادونه " إسماعيل" تيمنا بجده الأكبر ولد في مدينة القيروان سنة 302ه رأيس في المهدية، تولى الخلافة والإمامة بعد وفاة والده القائم بأمر الله سنة 334 ه وكان في الثانية والثلاثين، ومات في المنصورة سنة 341ه، فيكون قد عاش تسعة وثلاثون عاما ، أمضى منها سبعة أعوام على مقعد الخلافة الفاطمية، تأمر عارف، المرجع السابق، ص32.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص308.

الإمساك في جبل معديدا أو المعاضيد وحمل إلى أبي العباس وتوفي بعد ثلاثة أشهر من هزيمته سنة 336ه، فأمر الخليفة بسلخ جلده وبوفاته انتهت الثورة الكبرى التي زعزعت دعائم الدولة الفاطمية في المغرب وكادت تقضي عليها[1].

ولما توفي المنصور سنة 341 ه خلفه أبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله (341 365ه) فخرج عليه أهل فاس وبايعوا عبد الرحمان الناصر الأموي في الأندلس [2]،كما خرج على المعز يعلى بن محمد اليفرني سنة 347ه ونقض طاعة الشيعة وبايع لعبد الرحمان الناصر فأرسل **المعز جوهر الصقلي** [*] وزيرى بن مناد الصنهاجي على رأس جيش أخضع القسم الأعظم من المغرب الأقصى سنة 348ه ومضى إلى مصر لفتحها. [3]

وبعد أقل من قرن من مغادرة المعز الفاطمي لبلاد المغرب نحو مصر عادت افريقية تتخبط في يد العباسيين، وترفض التبعية لمصر منذ منتصف القرن الخامس 443ه ، ويرجعهـــا البعض إلـــى خيبة أملهم الكبيرة في فكرة المهدي المنتظر أو لسوء سيرة عمال كتامة وقسوتهم وفسادهم دفع النـــاس للتمرد عليهم. وعلى أسيادهم الفاطميين[4] ،كما أن قوام كل الثورات هو عداوة الأمن لمذهب الحكومة فهي ثورات قومية مذهبيه في واقع الأمر وأهم سبب على الإطلاق أن المذهب الشيعي لم يتمكن من تثبيت أقدامه في البلاد وأن الناس مازالت تميل إلى المذهب السني والخارجي ، ولهذا خرجت كل من تيهرت وسجلماسة على الحكم الفاطمي بعد فتحها بفترة وجيزة وولى أهلها على أنفسهم ولاة ينتمون إلى أسر خارجية التي سبقت لها حكم تلك الدولتين، وقد ظلتا في حالة اضطراب وعصيان إلى أن انتهى الحكم الفاطمي من بلاد المغرب[5].

ومن هنا يمكننا القول بأن نجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي وبالتدقيق من قبيلة كتامة البربرية إلى عدة عوامل منها ضعف العالم الإسلامي عامة والدولة العباسية خاصة وتعادل الطوائف الشيعية الأخرى ثم الصبر والهدوء والكتمان والثقة بالنفس وقد كانت تشمل على برنامج سياسي واجتماعي منظم يقوم على العقل والتسامح والمساواة الاجتماعية والاقتصادية[6].

---

(*) المعز جوهر الصقلي: كنيته بأبي الحسن ثم تولى قيادة الجيوش وأضحى من أبرز القواد الفاطميين ، واستطاع فتح مصر وحكم القاهرة باسم الخليفة حتى سنة 362هـــ، وفتح بلاد الشام وحول مصر إلى المذهب الشيعي ، توفي سنة 381هـــ /992م.عبد الله جمال الدين، المرجع السابق، ص125.

[1] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق،2ج ،ص360.

[2] الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص197

[3] ابن الاثير: المصدر السابق، ج6، ص303

[4] مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث . ج 2: بيروت ، ط 2.1963، ص87

[5] عبد الله محمد جمال، المرجع السابق، ص 75.

[6] مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1965، ص11.

## المبحـــث الثـــاني : نجـــاح الحركـــة الخارجـــــية

### المطلـــب الأول: الحركـــة الصفـــرية ونجاحها بين البربر البتر

لقد انقطعت أخبار الصفرية منذ المحنة[*] إلى شهر صفر سنة 76هـــ/مايو ــ يونيو 695م عندئذ قاموا بثورة في الجزيرة ، بقيادة صالح بن مسرح ثم شبيب بن يزيد الشيباني من بعده فتغلب عليه الحجّاج بن يوسف و لم يبق أمام الصفرية بعد ذلك سوى الفرار إلى النواحي البعيدة عن مركز الخلافة فتفرقوا في آسيا ، وخاصة في بلاد المغرب ، ويستنتج من هذا القول أن دعاة الخوارج الصفرية أخذوا يتوافدون على المغرب سنة 114هـــ/732ـ733م أو قبل ذلك ويؤيد هذا الرأي قول النويري بأن عكاشة الصفري كان على مقدمة الشامين عندما دخلوا إفريقية مع **عبيد الله بن الحبحاب**[**]، الذي يكون قد دخلها سنة 114ه[1]

ويذكر أبو زكريا أن أول من حمل الدعوة الصفرية وهو عكرمة مولى ابن عباس[2]، وقد قدم المغرب مع أول دعاة الاباضية وهو سلمة بن سعيد[3] ، غير أن أبا زكريا لا يشير إلى تاريخ وصولهما .

أما الطريقة التي اتبعوها لنشر آرائهم فهي الدعوة باسم الدين وحده، وهو أحسن شيء يتفق مع مزاج البربر[4].

---

[1] محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. 1984، ص ص 54،55 .

[*] بعد قتل الخوارج لعلي رضي الله عنه استمروا في مهاجمة الدولة الجديدة في الكوفة لكن عدادهم أخذ في طنهم حتى اضطروهم أن يلجئوا إلى الأهواز الواسعة بين البصره وفارس وهناك أخذوا يقومون بهجمات على البصرة إلا أن ابن زياد هزمهم وقتل رئيسهم أبو بلال ثم اجتمعوا على نافع بن الأزرق الذي توجه بهم إلى مكة لمساعدة ابن الزبير الذي حاصره أهل الشام بقيادة الحصين بن نمير ، ولما أرغموا هؤلاء على الانسحاب اكتشفوا أن ابن الزبير على غير مبدئهم فرجعوا مرة أخرى إلى الأهواز في أواخر 64هـــ/684م لكن الرجوع إلى الأهواز الأخر كشف عن الانشقاق الذي وقع في صفوف الخوارج و الذي عرف بالمحنة وظهرت على إثره عدة فرق منهم : الأزارقة و الصفرية. ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 235

[**] عبد الله بن الحبحاب: (116هـــ/734م) : مولى بني سلول بن قيس و الذي كان والي على مصر ، فمضى إلى بلاد المغرب بعد أن استخلف على مصر ابنه القاسم، وقد تتبع هذا بثقافة عالية ، أشار إليها كثير من المؤرخين أمثال ابن عداري الذي وصفه بقوله "هو مولى بن سلول وكان رئيسا نبيلا وأميرا جليلا بارعا في الفصاحة و الخطابة ، حافظا لأيام العرب وأشعارها ووقائعها" . محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 552 .

[2] عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنه أصله من البربر من اهل المغرب كما يقول ابن خلكان صاحب الأعيان ، كان الحصين بن الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس عندما تقلد إمرة البرصة في عهد عكرمة أحد فقهاء مكة وتابعيها ، وكان يرحل من بلد إلى آخر. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان. مج3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: ص ص 266،265 ، مات سنة 125هـــ وهو ابن ثمانين سنة. موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص158

[3] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص65 .

[4] وحسب بعض المستشرقين أن هؤلاء الدعاة كانوا رجال الدين و الجند ( أنصاف واعظ وأيضا محاربين ) الذين أرادوا أن يأخذوا بثأرهم من أهل السنة،كما كانوا يقومون به من أعمال. عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية: ج2، بيروت، ط2. 1966، ص 308 .

[*] سقاء: والسقاء هو الرجل الذي يسقي الناس الماء أو اللبن أو العسل لفقره . ابن منظور، المرجع السابق،مج8 ، ص 233 .

إن الابتزاز الذي كان يقوم به ابن الحبحاب كانت له نتائجه ، فقد أُغتيل حاكم طنجة في 122هـ/740م واندلعت ببلاد المغرب ثورات مما أدى إلى اتفاق عدد كبير من القبائل حول **سقاء**(*) "يدعى ميسرة" وانتهزوا فرصة إرسال عبيد الله الحملة العربية إلى صقلية سنة 121هـ فزحفوا نحو طنجة واستولوا عليها واجتاحوا بعد ذلك السوس ، فتدخلت على عجل فرقة من اسبانيا ولكنها هزمت ، وعلى غرار ذلك سحبت حملة صقلية ، وقامت حرب ضروس في المغرب الأقصى.[1]

كما انتشرت دعوة الخوارج في برغواطة عن طريق زعيمهم طريف وابنه صالح ، وكان قد خصم مع أبيه حرب ميسرة الحقير ومغرور ابن طالوت الصفريين ، الذين كانا على رأس الصفرية.[2]

وقد وجد أبناء قبائل **مدغره**(*) ،ومكناسة ، وكل المتضررين من الحكم الإسلامي الأموي في المبادئ الخارجية، التي نقلها بعض العناصر البربرية من القيروان ، ما يساعدهم على التخلص من ظلم ولاة بني أمية وقهرهم ، ويحقق لهم رغبتهم القوية و الدائمة في الاستقلال ، لذلك التفوا حولها وبنوها ، فكانت ثوراتهم متسلحة بالفكر الخارجي وقد نسبها الرواة إلى التيار الصفري[3].

وفي تلك الظروف القاسية التقى خالد بن حميد ومعه البربر بخالد بن حبيب ومعه العرب ، وكان بينهم قتال شديد صبرت فيه العرب كما قام البربر بكمين الهزموا فيه العرب وكره خالد بن حبيب أن يهزم من البربر فصبروا معه فقتلوا جميعهم وقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها فسميت غزوة الأشراف .

وهكذا واصل الخوارج الصفرية من البربر انتصاراتهم ضد عمال الخلافة الأموية في المغرب وهذا يعني تأصل المذهب الخارجي في البلاد وانتصار البربر أدى إلى توفر الفتنة في البلاد.[4]

---

[1] جورج مارسي: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى. ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية. 1999 ، ص51 .

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 57 .

(*)–مدغرة : أو مطغرة من ولد فاتن بن قصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر كما يقول ابن خلدون في الخبر من أوفر هذه الشعوب منذ عهد الإسلام نوبة الفتح وشؤون الردة وحروبها ... ولما سرى دين الخارجية في البربر أخذ مطغرة هؤلاء برأي الصفرية . ابن خلـــــــــدون : المصدر السابق: ج6، ص 239 .: ومدغرة هي من بربر البتر (مثل جراوة قبيلة الكاهنة) وهي من قبائل ضريسة كان جمهورها يقطن بالمغرب الأقصى عند الفتـــح الإسلامي ، شاركوا مع طارق بن زياد ، وهم منتشرون اليوم بنواحي تلمسان وفاس وقرى تافيلالت، ومنهم فرق منتشرة في أعمال المغـــرب الأوسط وإفريقية . عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب. ج4، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب. 1968، ص 330

[3] لطيفة الكباري: حركة الخوارج– نشأتها وتطورها– ، دار الطليعة : بيروت، ط1. 2001، ص 218 .

[4] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 220.

(**)المدغري : يقال له المدغري بالدال نسبة إلى المدافرة الذين هم بإزاء نذرومة .عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 153 .ويسميه ابن عبد الحكم ميسرة الفقير ربما لزهده وتقشفه وورعه .ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ج1 ،ص 218. ويطلق عليه ابن عذاري لقب ميسرة الحقير: ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص52 . ولعل الظن استهزاء وسخرية به واستهانة بأمره وهو قول أهل البعض من الخوارج. نبيلة حسن محمد: تاريخ المغرب و الأندلس. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية . 2004، ص 221 .

تلك الثورة التي تزعمها المدغري(*) ، و التي يعتبرها الكتاب أول ثورة في المغرب الأقصى و في إفريقية في الإسلام، وأشعل لهيبها في المغرب لم تكن ثورة سياسية وإنما الخطورة تكمن في لونها الديني وفي أن الثوار رفعوا شعار الخوارج الصفرية ، الذين ينادون بالمساواة بين جميع المسلمين دون أية فرقة عرفية[1].

وكما نستبين من النصوص أنه انضم إلى ميسرة قبائل الصفرية من : غمارة ومكناسة ، وبرغواطة.

حيث استطاع الصفريون الاستيلاء على القيروان سنة 140هـ/757م ، وحقق صفرية ورفجومة -من بطون هاصة ، وتنسب إلى ورفجومة بن تيدغاس بن وهاص وهم من نفزاوة أبناء يطوفت بن نفزا وبن لوا الأكبر بن رحيلك ، وكان ورفجومة هؤلاء أوسم بطون نفزاوة وأشدهم بأسا وقوة [2] من الخوارج ما كانوا ينو إليه صفرية طنجة و المغرب الأقصى أتباع مسيرة المدغري في سنة 122هـ/739م[3] ، ونجح صفرية أيضا تأسيس إمارة بني مدرار الصفري في سجلماسة سنة 140هـ/757م ، هذه الأخيرة كانت نتيجة انتشار المذهب الصفري في أقصى القسم الجنوبي و الجنوب الغربي من المغرب على أيدي أئمة من العرب الخوارج ، الذين لجئوا إلى هذه النواحي البعيدة عن النفوذ الأموي ولذلك اعتنق أهل مواطن سلجماسة من مكناسة الإسلام على المذهب الصفري[4] .

وكان من زعماء الصفرية في هذه النواحي عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفري و كان صاحب ماشية ينتج بها المراعي بجنوب بلاد المغرب وكثيرا ما كان ينتج أرض سلجماسة ويتردد عليها وكان موضعا براحا يجتمع الناس فيه من القبائل البربر المجاورة له يتسوقون فيه ، فنزل عيسى في أرض سلجماسة سنة 138هـ ، وهناك اجتمع إليه ومن زناتة الصفرية ، وسكنوا معه في خيام[5] ، فبايعه أبو القاسم سمكو بن **واسول المكناسي الزناتي** (**)، وحمل قومه على طاعته ، فولوه عليهم ، فقام بأمرهم ؛ وشرع في تخطيط مدينة سجلماسة سنة 140هـ ، فأكمل بنائها ، ويبدوا أن أهل سجلماسة أخذوا على عيسى بعض مآخذ أنكروها عليه فقبضوا عليه ، وشدوا وثاقه إلى أهل شجرة في سفح الجبل ؛ بعد أن طلبوه بالعسل ، وتركوه حتى قتله النحل سنة 155هـ ، فسمي هذا الجبل باسمه.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص219

[2] ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ، ج 6، ص 231.

[3] المصدر نفسه، ص 229 .

[4] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 583 .

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص 215 .

[6] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 584 .

(*)رجح أن مدرار كان لقب أبي القاسم كما يذهب الخطيب وليس اسم جده كما اعتقد ابن عذارى ، ونجد في رواية ابن الخطيب بين أبي القاسم سمكو وبين عيسى بن يزيد. محمود إسماعيل الرزاق، المرجع السابق، ص 115

كما نجد اختلاف بين المؤرخين فيمن تولى بعده الحكم فيتفق ابن خلدون مع ابن عذاري على أن أبا القاسم سمكو بن واسول المكناسي الملقب بمدرار(*) (155 167) هو الذي تولى أمر سلجماسة بعد عيسى.[1]

ويذكر صاحب الاستبصار أن أبا القاسم سمكو هذا الملقب بالمدرار كان حدادا من جالية الريض بقرطبة ، خرج من الأندلس بعد وقعة الريض ، فنزل منزلا بقرب سجلماسة فأنشأ بها مدرار خيمة وسكنها فبني الناس حوله ، وظفر برئاسة البربر.[2] أنظر الملحق رقم(06).

ولما توفي سنة 167هـ خلفه ابن إلياس الملقب بالوزير ، ولكن أهل سجلماسة ثاروا عليه في سنة 174هـ وخلعوه و أقاموا مكانه أخاه اليسع بن أبي القاسم بن مدرار الملقب بمنصور (174-208هـ) ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني واسول المعروفة بدولة بني مدرار وهو الذي أتم بناء سجلماسة وشيدها ، وانتقل إليها سنة 199هـ وتوفي سنة 208هـ فكانت مدته نحو أربع وثلاثين سنة.[3]

وقد خلف اليسع ابنه مدرار الملقب بالمنتصر ، وهو الذي تزوج أروى بنت عبد الرحمن بن رستم و الذي خلفه ابنه ميمون و الذي توفي سنة 253هـ ، فخلفه ابنه محمد بن ميمون بن مدرار وكان اباضيا و لم يطل عهده إذ توفي سنة 270هـ وولي بعده عمه اليسع بن مدرار سنة 270هـ وفي عهده وصل عبيد الله المهدي ، وتغلب عليه فقتله ودخل سلجماسة سنة 297ه.[4]

وأقام على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزابي من رجال كتامة وما كاد أبو عبد الله الشيعي يعود إلى إفريقية حتى ثار أهل سلجماسة عليه وقتلوه مضي 50 يوما ونصبوا على أنفسهم الفتح بن ميمون بن مدرار ، الملقب بالرسول سنة 298هـ ، وبعد وفاته سنة 300هـ خلفه أخوه أبو العباس أحمد على الإمارة فاستقام أمره على البلاد.[5]

وعموما ارتكزت عصبية دولة بني مدرار الصفرية على مكناسة ومواطنها على واد ملوية حيث تقع سجلماسة في أعلاه ، كما أسهمت عناصر أخرى غير مكناسية في قيام الدولة و لعل من أبرزها برابر صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان و أهل الريض الأندلسي.[6]

ولقد ميز القرن الثاني و الثالث للهجرة هو ظهور مجموعة من الإمارات ببلاد المغرب من بينها إمارة برغواطة بتامسنا والأهم من ذلك كلاهما كان على مذهب الخوارج الصفرية ، فإذا كانت إمارة بني مدرار قد سقطت تحت

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 584 .

[2] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1958م، ص 201 .

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص 216،215 .

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 269 .

[5] المصدر نفسه، ص 270 .

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 359 .

ضربات الشيعة الفاطميين سنة 297م ، بعد أن صمدت في وجه الأدارسة بفاس ؛ فإن برغواطة صمدت طويلا بحيث عمرت إلى حدود العصر الموحدى لما وضع عبد المؤمن علي الكومي حدا لها .

**المطلـــب الـــثاني: الحـــركة الاباضية ونجاحها بين القبائل البرنسية والبترية:**

أما عن ظهور الاباضية كفرقة مستقلة بآرائها معنية بأتباعها وأعلامها، فكان ذلك تدريجيا، وفي مراحل استنزمت عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبد الله بن اباض صراحة رفض الخروج من البصرة مع المتطرفين من الخوارج وذلك سنة 65ه، فكانت هذه الحادثة الإعلان الرسمي لظهور الاباضية وتميزها عن بقية المذاهب.[1]

حيث قيل أن أول من مضى بالمذهب الاباضي من البصرة سلمة بن سعد، قدم إلى قيروان افريقية هو وعكرمة مولى ابن عباس أو هما راكبان على جمل واحد[*] سلمة يدعوا إلى الاباضية، وعكرمة يدعوا إلى الصفرية وقيل: " وددت أن يظهر هذا المذهب بأرض المغرب يوما واحدا من غدوة إلى الزوال فما أبالي ضربت عنقي[2]. وفي موضع آخر " فما أبالي أن تضرب عنقي"[3]، ولعل في هذه الكلمات إشارة محتملة إلى وجود مجموعة اباضية في شمالي افريقية قبل مجيء سلمة بن سعد، لكنها كانت لا تزال في حالة الكتمان والى انه لم تكن آنذاك قد رجحت محاولة الترسيخ الإمامة الاباضية علنا.[4]

والملاحظ للروايات أن الفكر الاباضي قد انتشر بسرعة في أواسط بعض قبائل المغرب الأدنى والأواسط وخاصة في زناتة وهوارة[**]، ونفوسة ولسنا ندري ما إذا كان سلمة هو الذي تولى عملية نشر الدعوة في هذه

---

[1] عدون جهلان: الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ بن يوسف أطفيش 1236-1332ه، (1818-1914م) . نشر جمعية التراث، القرارة: الجزائر، د.ط، د.ت، ص34.

[*]إننا نشك في صحة بعض ما ورد فيه وذلك لعدة أسباب منها صعوبة قبول فكرة قيام خوارج ينتمون إلى تيارين مختلفين بعمل مشترك في المنطقة نفسها ووجود شكوك حول انتماء عكرمة مولى ابن عباس إلى الصفرية،حيث لا تذكر أغلب كتب الفرق انتماء عكرمة إلى الصفرية بل تذكر انتمائه إلى المذهب الخارجي من دون اشارة إلى فرقة بعينها بالإضافة إلى غياب الادلة عن وجود تيار صفري منظم وله دعاة في الاقاليم الإسلامية، ولكن الشك في الرواية لا يصل إلى حد نفس انتشار مبادئ هاتين الحركتين كما ذهب إلى ذلك حسين مؤنس. لطيفة البكاري، المرجع السابق، ص228.

[2] الأزكوري سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ج2، تحقيق: محمد عبد الله الشبوطة، دار البارودي، د.ت، ص769.

[3] علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ ج2، مكتبة وهبة، ط1، 1964، ص25.

[4] عمرو خليفة الدامي، دراسات عن الاباضية ، ترجمة : ميخائيل خوري؛ مراجعة: ماهر جرار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص112.

[**]رأى البعض من المؤرخين المشارقة والمغاربة أن أصلها عربي، كما رأى الاكثرية أنها من اصل بربري وانها من فروع البرانس، ويقال أن تسبب تسميتها بذلك نظرا لقول البرجاني عند بحثه عن أبيه أفيانورنا، وهو قول لا يبدو فيه الصحة عكس ابن خلدون الذي يقول أن نسبها إلى هوارا اكثر ابناء ماريغ غذا تسمى أحيانا أويغة ولها فروع كثيرة منها هووارا، وفلدي وملبيد ومضاربها في أرض باغاي"طرابلس الحالية" ثم هاجرت الى افريقية الشمالية. تابليت عمر، هواره ودورها التاريخي في المغرب الاسلامي. مطبعة المعارف، عنابة، 2008، ص30.

القبائل أم أن الانتشار قد تم عن طريق عناصر أخرى مستقلة عنه رغم تأكيد الشماخي وجود عناصر من أهل الدعوة في القيروان قد تكونت مع قدوم سلمت وصارت من أهل دعوته [1].

والحقيقة التي ينبغي أن لا تنسى هي انه عند قدوم سلمة بن سعيد إلى شمال افريقية كانت هنالك مجموعات اباضية كبيرة موجودة من قبل في بعض المناطق الوسطى في شمال افريقية: أي في القسم الغربي في ليبيا: ولعل ذلك عائد إلى المبادئ الاباضية حيث كسبت لها أنصارا بين الفاتحين، العرب الذين قدموا في مجموعات قبلية إلى شمالي افريقية ثم وجدت لها دعما بين قبائل نفوسة، هوارة، ولواتة[*] وزهانة، وزناتة، المحلية التي رأت في المبادئ الاباضية تمثيلا حقيقيا لدين الإسلام لا يخضعها لأي حكم استبدادي ويعطيها المبرر لنضالها من أجل الحكم الذاتي، ويعتقد أن السكان المحليين وجدوا التعاليم الاباضية الحافز الديني لمقاومة الحكم الاستبدادي للأمويين والعباسيي.[2]

كما فتح الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ذراعيه في البصرة لكل طالب علم أقل إليه من مشرق الأرض ومغربها باذلا كل ما في وسعت لتبليغ ذلك للناس، وقد اقل إليه من المغرب أولئك النفر الأربعة: عبد الرحمن بن رستم الفارسي ،**وعصام السدراتي** [**]**واسماعيل بن درار الغدامسي**[3]،وأبو داود القبلي، الذين أطلق عليهم فيما بعد نقب " حملة العلم" إلى المغرب وهذا بعد أن انظم إليهم **أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري** .[4]

---

[1] الشماخي ابن العباس أحمد بن سعيد كتاب التسير: تحقيق ودراسة محمد حسن، أوزيس للطباعة، تونس، 1995، ص124.

[2] عمرو خليفة النامي،المرجع السابق،ص111.

[*] نزاتة: قبيلة عظيمة بربرية تتفرع منها أكثر من ثلاثين بطنا وهي تنسب إلى ابن الأصبغ بن ابن ابن الأكبر بن زحيك. ينظر: مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، نشر جمعية التراث: القرارة، 1996، ص44 ولا تزال هذا الاسم إلى اليوم موجود في الزاب الغربي من بسكرة تسمى به قرية لواء ولها بطون سبعة كان منها بجبل أوراس وضواحي تيهرت وبجاية أمة عظيمة، ومن بطونها المشهورة اللدان زناتة وزوارة: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص40.

[3] اسماعيل بن درار الغدامسي: نسبة إلى غدامس التي تقع في الجنوب من طرابلس كنية أودرار ارتحال إلى الشرف لطلب العلم وأمضى خلالها خمس سنوات من الدراسة والتحصيل، ابن عباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، حققه: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث: قسنطينة، دس، ص21.

[**] عصام السدراتي:من علماء القرن الثاني تشأو ترعرع في أكناف قبيلة سدراتة و كان ينتقل معها و يحوت الضائب و القفار حلال رحلها، كما صمم على السفر ، فأخذ يعدّ العدّة للرحلة الشاقة الى البصرة و أخذ يلتمس الرفيق و الزميل فكانت مشيئة الله أن بلغه خبر ثلاثة فتيان كانو قد عزمو لمثل ما عزم عليه و قرر أن ينضم اليهم . سيف بن أحمد بن سيف اليوسعيدي ، حملة العلم الى المغرب و دورهم في الدعوة الاسلامية . دط ، دت ، ص 23.

[4] أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح: بن حيملة المعافري الحميري . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 55.أصله من اليمن كما ورد في اغلب المصادر و ليس من عمان . عمي يحيى معمر ، المرجع السابق ، ص 130. التقى ابو الخطاب بالنفر الاربعة الذين اقبلوا من المغرب في حلقات الامام أبي عبيدة بالبصرة و تم بات معهم من المغرب . لقد كان أبو الخطاب أحد النبغاء الذين تمّ اختيارهم من اليمن لتوجه الى البصرة حتى يكون على مقربه من المنبع الرئيسي للحركة الاباضية . عوشاش جمال ، الحركة الاباضية في المغرب الاسلامي .(شهادة ليسانس في التاريخ ) ، جامعة باتنة ، 2007-2008، ص 46.

وإذا نظرنا إلى القبائل التي اعتنقت مبادئ الاباضية بصفة عامة وجدنا أغلبها من البربر البتر، فهم أقدم على ان يتمسكوا المبادي لهذه تكف أصحابها مشقة في الحفاظ على العمل ها ولما تمليه عليهم[1].

والمحاولة الأولى من قبل الإباضين لإنشاء إمامتهم في شمال افريقية بدأت حين عين الياس بن حبيب والي على طرابلس بعد سنة 127ه، 744م ويروي أن الياس صرع عبد الله بن مسعود التجيبي من أصل حضرمي وهو أحد زعماء الجماعة الاباضية في طرابلس،[2]ولا يعرف سبب مصرع هذا الزعيم الاباضي إلا أن البعض يقول بأن الياس أراد بذلك تخويف الاباضيين[3].

الظاهر أن الياس بن حبيب رأى قوة الإباضيين وكان من شأن عمله هذا ان لم يكرههم على الرضوخ بل أثار غضبهم ووفر السبب المباشر لثورتهم فانتخبوا الحارث بن تليد الحضرمي إماما واستطاع أن يستولي على طرابلس وان يقبل قيس بن نصير بن راشد مولى الأنصار ، ثأرا لعبيد الله بن مسعود التجريبي إلا أن الحارث قتل على يد شعيب بن عثمان أحد القادة الذين عينهم عبد الرحمان بن حبيب لإخماد الثورة الاباضية، عند ذلك اختار الاباضيون أبا الزاجر إسماعيل بن زياد النفوسي قائدا لهم في صراعهم واستطاع أن يبسط عـــى مناطق طرابلس[4].

وفي محرم سنة 140ه 757 م بايعوا أبا الخطاب على الإمامة والعمل بما في كتابه والاقتداء بسنة نبيه اجتمع رأيهم على دخول المدينة مدينة طرابلس وكانت الخطة التي تم الاستيلاء بها على السلطة أن حملوا أسلحتهم في جوالق تربط أفواهها من أسفل ويحمل كل جمل رجلين ثم يدخلوا مدينة طرابلس وعندما يرى الإباضين المقيمون بطرابلس دخول الجمال وانتشارها في أنحاء المدينة يشهرون سلاحهم وقد نجحت هذه الخطة، وكانت ولاية أبي الخطاب أربع سنين وقد ولي على رأس أربعين مائة سنة.[5]

ولما وصل أبو الخطاب إلى ارض القيروان حاصرهم بأشد الحصار، لكن عصام السدراتي مرض مرضا شديدا مما أدى بأبي الخطاب أن يقيم كمينا إلى أن دخلوا إلى المدينة ثم ارتحل من القيروان وولي عليها عبد الرحمان بن رستم، وفي سنتين اثنتين وأربعين ومائة عادوا إلى مصر واستولى أبو الخطاب على سائر افريقية[6]: مما أدى إلى قتل أبو الخطاب وعامة أصحابه في صفر سنة 144 في أحد المعارك مع بن الأشعث.

---

[1] أبركان سليمة و عزوي يسمينة ، الخوارج (رسالة ليسانس في التاريخ) ، باتنة ، 2002-2003.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص140

[3] علي يحي معمر، المرجع السابق، ج2، ص450.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص142.

[5] رفعت فوزي عبد المطلب، الخلافة والخوارج في المغرب العربي، دار العلوم، القاهرة، ط1، 1973،ص ص ،139، 140.

[6] صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة إلى مصر، منشورات الشركة العامة، 1982، ص88.

اضطر الاباضية في المغرب الأدنى وافريقية إلى العودة إلى مرحلة الكتمان، وبقو خمس سنين يعملون في السر ويستخدمون التقية الدينية، وعندما أحس أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي أمام دفاع لهم، 145 -162م واطمأن إلى قدرة أتباعه وإخلاصهم أراد إعلان ثورة عام (150ه-767وتنامت أنباء استعداد إدارتهم إلى والي طرابلس التجنيد بن سيار، فخرج إليهم فقاتلهم أبو حاتم ، فهزمهم ودخل طرابلس مع هزيمتهم وبقي بها شهرا ثم سار إلى قابس وحاصرهم من كل ناحية.[1]

ومع أن هدفهم كان واحد (أبو حاتم وعمر مقيم بالزاب علي عمارة طبنة) وهو قتال جند الخلافة العباسية إلا أنهم لم يكونوا متفقين أو متحدين في الخطة والعمل ،مما أدى إلى انصراف البعض عنهم والهزم بعضهم.[2]

ثم مضى أبو حاتم بعد ذلك إلى طرابلس لمقابلة الجيش العباسي، في هذه الأثناء انضم إلى جيش جميل بن حجر وأصحابه وهو بسرت وأقاموا إلى أن لقبهم أبو حاتم[3]، وهكذا قتل أبي حاتم الملزوزي أمام الاباضية في منطقة جندوبة فدفن هناك سنة 155ه.[4]

وأيما كان الأمر فعندما افلت عبد الرحمان بن رستم من قبضة عبد الرحمان بن حبيب و خرج من القيروان جادا في المسير سنة 144 ه/ 761م ولم يكن معه شيء إلا ما خف من ماله وابنه عبد الوهاب ومملوكه وفرسه، وما سار هذا الركب غير قليل حتى ماتت الفرس فدفنوها حتى لا يتبع أثارهم أحد ممن يجدون في طلبهم ولما تعب عبد الرحمان من السير وأدركه الإعياء والملل صار ابنه عبد الوهاب وغلامه يحملانه بالتناوب.[5]

وقد سلك عبد الرحمان بن رستم في سيره الطريق الجنوبية المارة بقسطيلية، إذ واصل طريقه من جنوب نفطة مخترقا شمال وادي سوف، متجها إلى الغرب على شمال (تيفورة) ومدينتي القرارة وبريان من وادي ميزاب إلى مدينة الاغواط ومن غرب هذه المدينة اخترق جبال بني راشد فذهب شمالا على شرق مدينة (أفلو) وغرب وادي شلف حتى انتهت به الطريق إلى **وادي سوفجج**(*)، وما أن وصل عبد الرحمان بن رستم إلى سوفجج حتى سمع به

---

[1] عوض خليفات، نشأة الحركة الاباضية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 1978، ص157.

[2] رفعت فوزي عبد المطلب، المرجع السابق، ص166.

[3] صالح مصطفى مفتاح، المرجع السابق، ص96

[4] موسى لقبال، المغرب الاسلامي ، المرجع السابق، ص173

(*) سوفجج: من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط، فسوفجج هو الجبل الرابع من سلسلة جبال التي تمتد من مدينته (السوقة) في الجنوب الغربي لمدينة تيهرت، ومدينة شلالة في الجنوب الشرقي. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير. ج3، طباعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، ط1. 1974، ص257، وحول هذا الجبل كانت مواطن لواتة و نفاية وهوارة، وهي قبائل قوية الصلة بالمذهب الاباضي بل ان نفاية كانت على صلة قوية بعبد الرحمان بن رستم ويؤكد هذه الحقيقة ابن خلدون: "وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمان بن رستم بمكان امارته في القيروان فاحتمل اهله وولده ولحق بإباضية المغرب الأوسط من البربرة الذين ذكرناهم ". ابن خلدون ،العبر . المصدر السابق، ص247.

[5] البارون سليمان، الازهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضة، ج2، تحقيق وفهرسة أحمد كروم عمر بازين، مصطفى بن ديسو، ط2، 2002، ص2.

وجود الإباضية وعلمائها فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع عنده من طرابلس وجبل نفوسة من العلماء، فقط ما يزيد على سنين من أكابر العلماء وأهل الفضل والرأي.[1]

حيث شاع يومئذ ذكر عبد الرحمان بن رستم في الآفاق وأخذوا حينئذ في تدبير أمرهم وتنظيم شؤونهم من رفع شأن الخوارج بأنشاء دولة لهم اذ فاجأتهم جنود ابن الاشعث فأحاطت بالجبل ثم ارتدوا عنه بأمر أميرهم ويومئذ خرج ابن رستم مع أصحابه يطلبون مكانا منيعا يتخذونه كمركز لبثّ دعوتهم ونشر مبادئهم بتلك النواحي فكان ذلك المكان بعمالة وهران على غيضة بين ثلاثة أنهر عند سفح جبل جزول ،هو **تيهرت** وكان شروعه في ذلك سنة 148ه 765م[2]. وهكذا تمت مراسيم البيعة وأعلن قيام الدولة الإباضية الحدية وأصبح عبد الرحمان بن رستم إماما لها سنة 160ه /776م واتخذ مدينة تيهرت عاصمة لدولته.[3] أنظر الملحق رقم(07).

ولا يهمّنا في بحثنا هذا الدولة وهياكلها بقدر ما تهمنا الحركة المذهبية التي تمثلها كان نقيام الدولة الفاطمية في حد ذاته ثورة وانقلابا في التاريخ الإسلامي إذ أنّ نجاح الشيعة الإسماعيلية في إقامة خلافة لهم في المغرب جاء بعد محاولات طويلة فاشلة قامت بها الشيعة منذ قيام الدولة الأموية للظفر بالخلافة ، و كان لهذا النّجاح الذي أحرزه الفاطميون آثارا حاسمة في تقرير مصير بلاد المغرب .[4]

أن المغرب الإسلامي رغم انفصاله عن الدولة العباسية كانت تسود فيه المذاهب السنية، وذلك لأن المذهب الاباضي في تيهرت، وهو مذهب المعتدلين من الخوارج، كان لا يختلف كثيرا عن مذاهب اهل السنة، حتى أطلق عليه حديثا اسم المذهب الخامس.[5]

---

[1] البارودي، المصدر السابق، ج2، ص9.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص165.

[3] الشماخي، المصدر السابق، ص139.

[4] حسن ابراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص20.

[5] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص593.

## الفصـــل الثـالث

# تحول الحركات المذهبية إلى حركات سياسية وانتشار المذهب المالكي في المغرب الاسلامي

- المبحث الأول: زوال الملك العربي
- المبحث الثاني: القطيعة المذهبية والزحف الهلالي
- المبحث الثالث: انتصار و تمكن المذهب المالكي

## المبحث الأول: زوال الملك العربي على المغرب الإسلامي

أخذت الحركات المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي في الضعف منذ بداية العصر العباسي الثاني ، فقد أملى الانتصار الذي أدركه الخوارج أن تقصده الفرق الأخرى ، فبادر المضطهدون بالالتحاق بإفريقية للدعوة بها ؛ وحققت بنود الاعتزال و الإرجاء وانشغل الناس بالإضافة إلى الحروب المستعرة بالجدل و الحجج ؛ فزكت الحياة العقلية وأبيع الفكر، وهذا هو الجانب المهم في قضية الصراع إضافة إلى انتقال الفاطميين إلى القاهرة سنة 361هـ ، وكان الحدث الذي أدى إلى انتهاء الحكم العربي في بلدان المغرب الإسلامي ، وحلت محله دول بربرية المنزع.[1]

لم يقدر للبربر أن يظهروا على مسرح التاريخ المغربي كدولة ذات كيانات سياسية مستقلة إلاّ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، حيث آل حكم المغرب الإسلامي ، بعد رحيل الخليفة الفاطمي إلى مصر إلى أسرة بني زيري التي تنسب إلى تلكانة[*] ، وهي إحدى بطون صنهاجة البرنسية[**] .وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية وهم أهل مدر ، حيث كان يترأسهم وقت حصار أبي يزيد لمهدية ، زيري بن مناد الذي لعب دورا كبيرا في إنقاذ الفاطميين والقضاء على الحركة النكارية ، ثم زحف المنصور على تاهرت وانتصر فيها على حميد بن يصل وأجبره على الفرار إلى الأندلس وعندئذ عقد له المنصور الولاية على قومه[2].

---

[1] عبد العزيز الحدوب ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية . الدار التونسية للنشر ، ط 2. 1985، ص7.

(*)تَلْكَانَة وتُلْكَانَة : محمد بن عمرة، المرجع السابق، ص 243. وهي من أهل المدر ترأست القبائل الصنهاجية بإفريقية والمغرب وكانوا بمثابة الدرع الواقي للقبائل الزناتية ، وأصبح أعيانهم قادة وأمراء في ظل الدولة الفاطمية . بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص 56.

(**)صنهاجة : بضم الصاد وكسرها وسكون والنون وفتح الهاء ، وقال ابن دريد هي بضم الصاد . ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 241. وهي علم يطلق على قبيلة ، أما الوطن فهو ما بين وطن زواوة شرقا وأماكن زناتة غربا وتمتد على الساحل البحري من مدينة الجزائر إلى تونس ، وأما القبيلة فإنها راجعة نسبها إلى حمدين . عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق: ج1، ص243 . وقبله صنهاجة تنسب إلى صنهاج وهو أحد أبناء برنس ابن بر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح . ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 109. وابن حزم يرى أن صنهاج وهذا ابن امرأة يقال لها " تركي" لا يعرف لها أب. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر. 1962، ص498 .وقد نشأ خلاف كبير بين النسابة و المؤرخين حول أصل صنهاجة، وهل هي عربية من حمير كما يرى الطبري وابن الأثير وغيرهم وعندهم أن صنهاجة ترجع إلى صنهاج ابن المثنى بن المنصور بن معصاح بن عصيات بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر من سبأ . ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص310، ويرى بعضهم أنها قبيلة عربية لكنها ترجع إلى قيس بن عيلان. ابن حزم، الجمهرة. المصدر السابق، ص495. ويرى فريق آخر أنها قبيلة بربرية وليست عربية . البلاذي، المصدر السباق ، ص265. ويرى فريق محمود بحق أن النسبة العربية التي كانت صنهاجة تشرعها حول نفسها ورغبة من صنهاجة في أن تقف على قدم المساواة مع القبائل العربية حتى تستطيع المشاركة في الحياة السياسية الجديدة التي أطلت المغرب بمجيء المغرب ، حسين أحمد محمود: دولة المرابطين. مكتبة النهضة المصرية، ط1. 1957، ص 37.

[2] محمد بن عمرة، المرجع السابق، ص 222 .

حيث عندما تولى المعز لدين الله الخلافة، استعان به أو بابنه **بلكين**[*] في القيام بحملة على الأوراس ، وكانت صنهاجة آنذاك في حرب مع قبيلة مغراوة ، كما سار زيري مع القائد جوهر في حملته على المغرب سنة 347هـ/958-959م فكان له الفضل في الاستيلاء على مدينة فاس[1].

كما كلف المعز زيري بن مناد بمحاربة زناتة الموالية للدولة الأموية ففعل وانتصر عليها في البداية ، لكنه قُتل في إحدى المعارك التي خاضها ضدها ، فما كان على إبنه بلكين إلاّ أن يواصل إنجاز عمل أبيه ، مما جعله يثبت كفائته ، فاستدعاه إلى المنصور وعيّنه على ولاية المغرب قبل رحيله إلى مصر[2] ، وكان استخلافه على إفريقية يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة 361هـ[3]، فكان هذا الحدث بداية قيام الدول البربرية المستقلة التي استمرت إلى قيام الدولة الموحدية البربرية[4] .

وبجلوس بلكين على عرش إفريقية عهد العرب بالملك و الدولة بهذا المغرب الإسلامي واستقل البربر بأمر وطنهم تحت لواء الإسلام تتداوله قبائلهم طائفة بعد أخرى وجيلا بعد جيل تارة يدعون إلى الأمويين خلفاء الأندلس وتارة إلى بني هشام العباسيين إلى أن استقلوا بالدعوة لأنفسهم إلى زمن الأتراك على الجزائر وتونس وطرابلس في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي[5].

حيث كان الأدارسة في صراع مع الأمويين مما أدى بأميرهم الحسن بن كنون صاحب البصرة يبعث ولاء الطاعة لجوهر ونقض طاعة الحكم المستنصر مما جعل هذا الأخير يجهز جيشا بقيادة غالب بن عبد الرحمن الذي انتصر سنة 363هـ/974م[6] ، وقد حاربت زناتة إلى جانبه ضد الحسن بن كنون ، وبذلك أخضع

---

(*)بلكين: كان في أول أمره واليا على مدينة الجزائر وذلك أيام إمارة والده زيري على صنهاجة ثم خلفه في غمارة ، واشتهر بومئذ فيها بالثبات والعزم والشجاعة ، واستطاع هو وحده أن يحقق تدريجيا وحدة الشمال الإفريقي على نحو لم يوفق إليه حكام المغرب العربي قبله، وتولى بلكين الإمارة على إفريقية الشمالية وبعهد من الخليفة المعز الفاطمي يوم الأربعاء 22 ذي الحجة 361هـ/4أكتوبر 972م ، ولقب بسيف الدولة وكذا بأبي الفتوح. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 246

[1] محمد عميرة، المرجع السابق، ص 230.

[2] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية.ج1 ،تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية، ط4. 1983، ص 89، استدعى المعز بلكين بن زيري الصنهاجي وقال له: "تأهب لخلافة المغرب" فقال له بلكين "أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله عليه الصلاة والسلام ما صفى لكم المغرب فكيف يصفو إلي وأنا صنهاجي بربري ... بشريطة أن تولي القضاء والخراج لمن تراه وتختاره و الخير من تثق فيه، وتجعلني أنا قائما بين أيديهم فمن استعصى عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب ، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين يديك" فحسن هذا عند المعز وشكره. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص: 143،142 .

[3] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 257 .

[4] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد. دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة. 1991، ص 40 .

[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 246

[6] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص147، حيث شدد الجيش الأموي الحصار على القلعة التي حصن بها الحسن بن كانون، وهي قلعة حجر النسر ، مما اجبره على الاستسلام بعد ان اشترط على غالب الامان لنفسه واهله ورجاله ومال وأن يسير معه إلى قرطبة. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص87.

الأمويين بقي من بلاد الأدارسة ،وقطع الدعوة الشيعية من المغرب الأقصى وأصبح يحي بن محمد التجيني واليا على المغرب[1].

وما كاد الهدوء يعود إلى بلاد المغرب حتى قام أبو الفتوح يوسف "بلكين" بن زيري الزحف سنة 369هـ/979-980م، بجيوش ضخمة[2] ؛ فاستولى على فاس ثم سجلماسة التي كانت في يد الزناتيين بقيادة بن فلفول أعظم ملوك زناتة من بني خزر وبعدها سار إلى سبتة فأرسل أمرائها يطلبون النجدة من أمير قرطبة ابن أبي عامر الذي قدر الموقف وأرسل جيشا إلى الجزيرة الخضراء(*)، ومنها انتقل إلى أصيلا ثم إلى برغواطة حيث دخل في حرب شغلته عن زناتة[3] ، وأثناء ذلك أصاب أبا الفتوح "بلكين" مرض فهلك في ذي الحجة 373هـ/جوان 984م، فخلف ابنه أبو الفتوح المنصور في أوائل 374هـ/984م[4] .

وبتولي المنصور بدأ الصراع الداخلي بين البربر يدخل طور البروز، كما قامت دولة زناتية صغيرة مجاورة لها كدولة بني يفرن في سلا ودولة توجين ودولة بني توالي وقلعة المهدي ، وبقيام هذه الدويلات يكون حاجز زناتي يفصل بين صنهاجة التي تظهر الولاء للفاطميين في المغربين الأوسط و الأدنى وبين الأمويين في الأندلس ومثلت هذه الدول الزناتية البربرية مظهرا من مظاهر بروز الدور البربري على مسرح التاريخ المغربي، وفي الحقيقة أن النجاح الذي حققته زناتة البربرية لم يكن ليتم على هذا النحو لولا الصراع الداخلي بين أبناء بلكين بن زيري الصنهاجي، حيث تولى بعده المنصور: فسلم له إخوته الإمارة وبايعوه في مسجد القيروان ، لكن ابن البهار بن زيري والي تاهرت دعم المنصور وتمرد سنة 379هـ/999م فقضى على المنصور، واستعان بأخيه حماد بن بلكين بن زيري الذي من خلال حروبه مع زناتة استطاع أن يبرز كقائد لا تستغني عنه دولة صنهاجة [5]. ولذا كان **حماد**(**) أبرز الأسماء التي وجدها أمامه باديس الذي تولى الأمر بعد وفاة أبيه

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 57 .

[2] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، ص231.

الجزيرة الخضراء: هي مدينة أندلسية مقابلة لسبته تقع جنوب قرطبة فرسخ ويضرب البحر بسورها وهي متصلة ببر الأندلس ومن أجود موانئه. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص75 .

[3] محمد بن عمرة، المرجع السابق، ص 255 .

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 41،40

[5] المرجع نفسه، ص 41 .

(**)حماد بن بلكين: مؤسس الدولة الحمادية، يرجع نسبه إلى زيري بن مناد ابن منقوس بن صنهاج الأصغر بن صنهاج الأكبر... قرأ الفقه في القيروان ونظر في كتب الجدل ولا يعرف تاريخ ميلاده وعلى وجه الترجيح أنه توفي في شهر رجب 419هـ/1028م ، ويجمع كل المصادر على شجاعته وحكمته وفراسته وكان قاسيا ، وبعد ظهور حماد في عالم الحكم والسياسة منذ 387هـ/997م : حيث ولاه باديس أعمال الجزائر الشرقية وأقطعه مدينة أشير ونواحيها ومنحه لقب نائب الأمير، فطمحت نفسه في انشاء ملك له فأنشأ القلعة سنة 398هـ/1007م، وأظهر الإنفصال عن باديس سنة 405هـ/1014م. عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 27

المنصور سنة 386هـ/696م ، ليستعين في حروبه ضد زناتة البتر الموالين لبني أمية في الأندلس على أن باديس تكدست الأطماع فيه لصغر سنه فذهب بعض أعماله وأعمام أبيه إلى استضعافه[1].

وقد كان حماد داهية فاستثمر كل هذه الظروف لحسابه[*]، وعندما أراد باديس إنهاضه لحرب زناتة واشترط عليه شروطا كثيرة[2]. حيث إشترط على الأمير باديس إن نجح في زحفه على زناتة أن يوليه المغرب الأوسط وأن له جميع ما يملكه في غزواته هذه ، وأن تكن له الحرية في إختيار مكان إقامته بالبلاد فوافقه باديس على ذلك فغزا حماد يومئذ زناتة سنة 395هـ/1004م فظفر بهم بحيث لم يظهر لهم بعد ذلك أي أثر في الحرب مع حماد[3].

فبعد أن سيطر حماد على الوضع في المغرب الأوسط أسس مدينة القلعة المنسوبة إليه "قلعة بني حماد" واستقر بها ثم أخذت بعض الإشاعات تصل إلى باديس في شأنه فتغاضى عنها في البداية لكنها كثرت و لم يكتف بذلك بل قام بإعداد جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، كما قتل الرافضة وأظهر السنة ونبذ طاعة العبيديين جملة ، وراجع دعوة آل العباس، وتعتبر الخطوات أول خروج صنهاجي عن الدولة الفاطمية منذ مشي زيري ابن مناد الصنهاجي في ركابها ، وبهذه الخطوات تحقق للدولة الحمادية –الاستقلال المعنوي– إلى جانب الاستقلال في الأرض[4] .

حيث عندما وصل الأمر إلى هذا الحد جهز باديس نفسه وزحف على العمّ المنشق فهزمه ، في معركة الشلف ووقعت بينها في أول جمادى الأولى سنة 406هـ/أكتوبر 1015م ، ومع ذلك كان الحظ بجانب حماد لأن باديس عندما لاحقه وحاصره بقلعته توفي باديس فجأة في ذي القعدة سنة 406هـ/أفريل-1016م- وعاد أصحابه إلى المنصور لمبايعة ابنه المعز[5] ، وقد تحرك المعز إلى بغاية سنة 408هـ/1017-1018م ، وكان حماد بن بلكين يحاصرها ودار بينهما قتال انتهى بانتصار المعز ، لكنه اكتفى بذلك ورجع

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 42 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص349.

(*) كان أول ما قام به باديس من الأعمال الادارية أن خالف وصية المعز العبيدي جده بلكين حين قال له: "لا تولي أحدا من إخوتك وبنيك لأنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، حيث عقد لعمه حماد بن بلكين على جميع ولاية الجزائر الشرقية وأقطعه أشير وأمده بالخيل والسلاح. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 252 .

[3] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص350 .

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 64 .

[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 256

إلى عاصمته حيث استقل القائد بن حماد وعقد معه صلحا اعترف له باستقلال المناطق التي شملتها الدولة الحمادية بعد ذلك[1].

وهكذا قسمت دولة بني زيري الصنهاجية إلى دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة [*]،ولم يعد هناك ما يقلق المعز من الجهة الغربية لإمارته لأن حماد وابنه القائد من بعده أصبحا ملزمين بقتال زناتة[2] .

والشيء الواضح أن دولة الزيريين قد بقيت أقوى دولة بربرية في المغرب لحين زحف القبائل العربية ، ثم ظهور قوة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري ، وأن الدولة الزيرية بقيت الممثل الأقوى مع الفاطميين إلى إعلانهم خروجهم عن المذهب الشيعي سنة 440هـ/1049م، كما أن الدولة الحمادية ظلت تتظاهر بالولاء للفاطميين وفقا لإستراتيجية المعز بن باديس لدرجة أن المعز حاصر القائد بن حماد سنة 432هـ لمدة سنتين عندما حاول الخروج على المذهب الشيعي واضطره إلى العودة إليه[3] .

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 69 .

[2] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص290.

(*)تعرضت حدود الدولة الحمادية على امتداد تاريخها لعديد من التغيرات على أن السمة الغالبة لهذه الحدود أنها جزء مما يعرف الآن ببلاد الجزائر ولم تتعدى إلا في فترات الحكم لتونس والقيروان وصفاقس والجريد وجربة. مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 193 . ويرى أحد المؤرخين المتأخرين أن حدود الدولة الحمادية لم تتعدى حدود عمالتي الجزائر وقسنطينة وفي الجنوب نحو الزاب وواد ريغ وورجلان. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1،ص 365.

[3] عبد الحليم عويسي ، المرجع السابق، ص 72.71 .

## المبحث الثاني: القطيعة المذهبية والزحف الهلالي على بلاد المغرب:

لم يكن حكام صنهاجة يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميين، بل كانوا يحسون أنهم وحدهم الأحقون بزعامة المغرب ولم يكن ولاء صنهاجة إلا عملية انتصار بقوة كبرى ضد أعدائهم من زناتة وضد مشاكلهم الداخلية في المغرب، ولئن كان بلكين بن زيري الذي استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على المغرب لم يظهر الخلاف الفاطمي فان ذلك لم يكن إلا مداراة سياسية أملتها ظروف في المغرب ليواجه كتامة وزناتة وغيرهم[1].

ومع أن إبنه وخليفته المنصور قد آثر السير على درب أبيه لكن مع ذلك قد أظهر روح الاستقلال وعصر الولاء للفاطميين ، وقد ظهر ذلك في قوله:" ولست ممن يولى بكتاب، ويعزل بكتاب"[2].

لكن المغرب شهد في سنة 405ه أول خروج رسمي علني ضد زعامة الخلافة الفاطمية ، وكان بطل هذا الخروج حماد بن بلكين[3]، فانفتح بذلك باب الخروج عليهم وانقطع ذلك الخيط الرفيع الذي كان يمنحهم هيبة رمزية، ولم تمل سنة 407ه/1016م إلا كان المعز بن باديس يحذو حذو حماد ، كما أنه خطى خطوة أخرى إذ فرض المذهب المالكي ، وأخرج ما عداه من المذاهب في المغرب[4].

وكان عصر المعز الزيري من أفضل وأحسن العصور حيث أصبح في عهده أكبر مالك عرفه البربر بإفريقية فهو ثالث ملوك هذه الدولة، وهو أول من اتخذ المهدية قاعدة لملكه إلى أن يتولى عليها الصنهيون سنة 542ه/1147م ، ولم تطل مدة أحد من أهل بيئته في الولاية والملك كمدته(*)، وكان فيها من أكرم أهل بيته،فهو أحقهم باسم المؤسس الحقيقي لدولتهم إذ هو أول من أعلن انفصال المغرب الأدنى عن العبيديين وخلع طاعتهم(**)[5].

ولحن لا نعلم بالتحديد تاريخ تسلسل أحداث اضطهاد الشيعة من جلب البربر وعرب افريقية: فابن عذارى يحدد الفترة الرئيسية لهذا التحلل من الولاء للفاطميين سنة 1041ه/423م وابن الأثير وابن خلكان

---

[1] عبد الحكيم عويس، المرجع السابق، ص167.

[2] جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية. دار الفكر العربي: القاهرة، 1967، ص225.

[3] ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق، ج6، ص350.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص137.

(*)حكم لها سنة (407ه/1017م- 454ه/1062م) عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص256.

(**)استمرت تبعية بلاد المغرب للفاطميين حتى وليها المعز بن باديس الذي خرج على الفاطميين وعلى المذهب الاسماعيلي وسند ازر أهل السنة في طاعة الخليفة العباسي القائم (422ه-467ه) دعا له على المنابر ونقش اسمه على السكن وأمر باتخاذ السواد شعارا للعباسيين ، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص ص 298.

[5] عبد الرحمان جيلالي: المرجع السابق، ج1، ص256.

فيتحدان تاريخ الواقعة الفاطمية سنة 1042ه/435ه، ويحددها ابن خلدون سنة 1045م/437ه ثم كان ضرب بالسكة باسمه بعد ذلك[1].

وقد رأى أبو محمد الحسن بن علي اليازوري، الذي تولى منصب الوزارة بعد وفاة الجرجرائي سنة 436ه/1044م الذي كان في خلاف مع المعز بن باديس أن أشار على الخليفة المستنصر [*] بأن يرسل بطون قبيلتي هلال وسليم العربيتين [**]،التي تنزل صعيد مصر في الضفة الشرقية لنهر النيل وتسبب أتعابا كثيرة للدولة الفاطمية إلى المغرب لتتخلص منهم و تنتقم بهم ، فاقتنع الخليفة المستنصر بفكرته، فاتصل بمشايخهم واتفق معهم على الرحيل إلى بلاد المغرب[2].

خرجت الحملة الهلالية الأولى من الديار المصرية سنة 441ه-442ه/1051م في نحو الأربعمائة ألف شخص ؛ وهنا اختلف المؤرخون في تحديد عددهم، فذهب بعضهم إلى اعتبار عددها كان يزيد عن المليون وهو تقرير مبالغ فيه، كما ذهب بعضهم إلى أن عددهم يتراوح ما بين مائتي ألف ونصف مليون ولعله التقدير الأقرب للصواب[3].

وإذاك كتب اليازوري إلى المعز"..... أما بعد فقد أرسلنا إليك خيولا وحملنا عليها رجالا فحولا لا يقضي الله أمرا كان مفعولا"[4]: ونزل هؤلاء الأعراب بافريقية بتبرقة ونوا في قابس وتونس،فأكثروا فيها

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص177.

[*]المستنصر: ابن الخليفة الظاهر الفاطمي (441-427ه) وقد بويع في شهر شعبان سنة 427ه وهو في السابعة من عمره، وظل في الخلافة ستين سنة وأربعةأشهر، وفي الشطر الأول من عهده إمتد سلطانه على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقليه وشمالي افريقيه وكان اسمه يذاع في الخطبة على أغلة منابر البلاد، و ما لبث أن خرج عن سلطة الفاطميين، كما رفض أهل شمالي افريقية عقائد المذهب الفاطمي، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج4، ص168.

[**]قبيلتي هلال وسليم : هم قبائل بني هلال وبنو سليم ورغبة ورياح من مصر. المقريزي ، المصدر السابق، ج2، ص224. كانت مواطنهم الأصلية بالحجاز واليمن غربي نجد حول مكة والمدينة، وبسائط الطائف إلى جبل زعوان و والبحرين واليمن، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص30.

وكان انتقالهم لمصر أيام ولاية عبد الله بن الحبحاب عليها، فانتقلوا من بلاد النيل إلى المغرب فسكنوه وتفرعت عنهم فروع كثيرة وبطون عديدة انتشرت بأنحاء الشمال الإفريقي وامتزجت بأهله ؛ حتى لا تكاد تميز اليوم بين العربي والمحين، فكان منهم بالمغرب الأوسط قبائل الثعالبة والمعقل وعبيد وعمران وأولاد ماضي وسليمان والعطاف وجندل وأولاد نائل وجيل راشد و بنو عامر وأولاد جلال والمخادمة وأولاد سعيد ورياح، عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص259.

[2] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ج 2،ص667.

[3] عثمان الكعاك، موجز تاريخ الجزائر العام، نشر مكتبة الغرب ، تونس، 1925، ص304.

[4] ابن خلدون، العبر، المصر السابق، ج6، ص31

الفساد والنهب وتكررت الوقائع بينهم وبين الأهالي والدولة وتعددت النكبات فتخلى لهم المعز عن القيروان إلى المهدية فتعقبوه إليها[1].

ومن المؤكد أن هذه القبائل لم تصل إلى مشارف الجزائر إلا بعد عدة سنوات من زحفها لافريقية إلى أن انتصروا انتصار هو الحاكم على المعز في معركة "حيدران"[*] سنة 443 ه بين قابس وصفاقس، وتم تخريب القيروان وضعف ملك بني زيري بعد ذلك حتى لم يعد يجاوز أسوار مدينته المهدية[2].

وقد وجدوا الطريق مفتوحا إلى جزائر بني حماد، فتقدموا في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، لكن لم يحدث زحف تدميري شامل كما حدث للزيريين إلا بعد موقعة سبيبة[*]، التي كانت أخطاء الناصر بن علناس سنة 457ه وبذلك فان هؤلاء الزاحفون من الأعراب الهلاليين بامتلاك أعظم الجهات بافريقية فكان لبني سليم نواحي المغرب الشرقية ولبني هلال النواحي الغربية[3].

ورغم هذه المعارك لم تستطع هذه القبائل العربية إقامة دولة مع تغلبها صنهاجة الزيرية بسبب طابعها الفوضوي وإنقسامها فلم يؤسسوا ملكا ولم يشيدوا دولة[4].

وبذلك تمت القطيعة بين القاهرة والقيروان وكانت ضربة قاضية وجهت للتشيع في المغرب الإسلامي ، فلم يعد هذا المذهب مرة أخرى إلى هذه البلاد رغم بعض المحاولات التي تمت خصوصا في عهد الموحدين[5].

فقد كان دخول الهلاليين وإخوانهم إلى أرض المغرب حديثا ضخما ترك أثاره على تكوين المغرب الحضاري كله[6]، وأصبح هذا التاريخ من الحوادث الفاصلة في تاريخ المغرب الإسلامي لانقطاع الصلة بينه وبين المشرق الإسلامي واتجاه المغرب بعد ذلك إلى تكوين دول بربرية خالصة[7].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص258.

[2] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج4، ص227، التي بقي فيها المعز بن باديس السنوات الباقية من عمره وهو حزين إلى أن توفي في أوائل 454ه ودفن في المنستير وخلفه ابن عمه السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص671.

(*)لم يظهر لبني هلال أثر في الجزائر إلى أن حالف الملك الناصر قبيلة الأثبج الهلالية سنة (457ه/1067م) وخرج لامتلاك تونس فيومئذ خرجت جيوش عميم بن المعز لرد الحملة الناصرية فكان هؤلاء جميعا يدا واحدة على الناصر: وكان اللقاء بفحص سبيبة غربي القيروان وعلى نحو الخمسين كيلومترات جنوب الأربس فانهزم الناصر وقتل من جيشه أربعة وعشرون ألف واستشهد أخوه لقائم: فاضطر الى الرجوع إلى الجزائر وثنا إلى قسنطينة فتبعه إليها الهلاليون واقتحموا عليه المدينة فاستولوا عليها وعلى القلعة والمسيلة . عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 281، 282.

[3] المرجع نفسه، ج1: ص287.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص179.

[5] الفويديل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص ص 165، 166.

[6] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص177.

[7] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص ص 258: 259.

ومن نتائج الغزو الهلالي لبلاد المغرب انحصار ملك الدولة الصنهاجية في افريقية إلى الساحل بسبب الضغط الذي كانت تمارسه قبائل العرب على المدن الداخلية، كما نتج عنها تخريب كبير للبلاد وقيام فترة من الاضطراب السياسي(*)، والاقتصادي في افريقية والمغرب الأوسط رغم هذه المضار فقد كان لغزوة الهلالية فضل كبير في تعريب البلاد والتخفيف من حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية[1].

كما كان لزحف بني هلال على افريقية "تونس" والمغرب الأوسط تأثيرا عظيما على الحياة الاجتماعية والثقافية أيضا وذلك بدخول عناصر جديدة بدوية في هيكل المجتمع المغربي، وكان لهذه العناصر خصائصها العقلية والخلقية، وحتى السياسية من كره النظام والحكومة المركزية والضرائب وأساليب الحضارة[2].

[1] السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ج2،ص673.

(*)حيث انقسمت بلاد المغرب إلى طوائف فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة من قابس إلى المغرب وظل بنوزيري يحتفظون بالمهدية ومايليها، واستقر بنوحماد في بجاية ، واستقل حمو بن مليل البرغواطي في سفاقس، واستقل ابن خراسان بتونس سنة 458، وانتقل موسى بني يحيى.

[2] رباح بونار، المرجع السابق ، ص139.

## المبحث الثالث: انتصار المذهب المالكي

في خضم التشتت المذهبي والسياسي في بلاد المغرب وصلت القيروان وبلاد الزاب أفكار المذاهب الفقهية المقربة من نظام الحكم السني (*)، وهذا عن طريق الشخصيات المشرفة التي وردت إلى بلاد المغرب وبواسطة الرحلات وطلب العلم و الحج ، ويعتبر **المذهب الحنفي**(**) السباق من الناحية الزمنية ، وأن النخب المشكلة لهذه المجموعة الفقهية والتي عاشت في ظل الدولة الأغلبية الأحناف ، وسرعان ما تنكرت القيروان وواحات بنطيوس ببلاد الزاب لمذهب العراق التي سقطت من يد الإسماعيليين الشيعة واعتنقت مذهب الدولة الجديدة وهي الخلافة الفاطمية الجديدة[1] . إلا أن البناء الفقهي الحنفي لم يبقى البربر أوفياء له خاصة في نهاية القرن الخامس الهجري إلا أهل قمودة[2].

ويضيف القاضي عياض أنه كان في إفريقية وتونس القيروان غلب عليها مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد ابن أشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم من العلماء الآخرين بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وقص خلف المخالفين واستقر المذهبي بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار[3].

---

[1] علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و المغرب الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. 2008، ص129 .

(*) ترجع تاريخ نشأة أهل السنة إلى الخلافات التي كانت قائمة على أشدها بين الفرق الإسلامية المختلفة ، حيث لجأت جماعة من المسلمين المعتدلين إلى مسجد الرسول (ص) وجعلت من نفسها حامية للدين ومناهجه وتشبثوا بالنصوص المتمثلة في القرآن الكريم و الحديث الشريف وكان مؤسسوا هذا التيار العلمي فقهاء المدينة السبعة ، وأهل السنة هم أتباع الرسول (ص) وينقسمون إلى تيارين أهل الحديث وأهل الرأي. موسوعة الأديان في العالم، الفرق الإسلامية، الطبعة الأصلية. 2000، ص 109 .

(**)المذهب الحنفي: نسبة إلى مؤسسه أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلب ، شاءت الأقدار أن يكون أبو حنيفة أول الأئمة الأربعة ميلادا وأسبقهم وفاة وأسبق المذاهب دخولا إلى إفريقية. أحمد الشرباصي: الأئمة الأربعة. دار الجيل،بيروت، لبنان. 1972، ص14. وقد تولى الإمام سنة 80هـ بالكوفة وتعلم فيها وعمل حرارا للحرير ، وقد كثرت الفرق في العراق فبدأ أبو حنيفة يجادل المخالفين فبرز في علم الكلام. كامل محمد محمد عويضة، الإمام أبو حنيفة فقيه أهل العراق وإمام أهل الرأي. دار الكتب العلمية، لبنان، ط1. 1992، ص ص 18.17. وقد تعرض للتعذيب من قبل ابن هبيرة والي الكوفة، فقر إلى مكة منذ 130هـ واستقر بها وهناك التقى بمختلف العلماء وأخذ عنهم العلم كعبد الله بن مسعود ونافع مولى ابن عمر وعن أئمة الشيعة كزيد بن علي ومحمد الباقي. محمد أبو زهرة ، أبو حنيفة ،حياته وعصره وآراؤه الفقهية. دار الفكر العربي، القاهرة، ط2. 1991، ص ص 34.33. كما اعتمد أبو حنيفة في أصول مذهبه على القرآن والسنة مما جعل مذهبهم أكثر انتشارا ، وأما إفريقية فكان مذهب الكوفيين أكثر انتشارا إلى أن دخل المذهب المالكي. عبد العزيز الجذوب، المرجع السابق ، ص64. وقد اختلفت الروايات حول وفاته فقيل أنه مات بعد ضرب المنصور له بعد رفضه القضاء، وقيل أن المنصور سقاه سما فمات وكانت وفاته 150هـ ببغداد. أبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج1، المكتب التجاري للطباعة و النشر، لبنان. دون تاريخ، ص 228 .

[2] البكري، المصدر السابق، ص 73 .

[3] أبو الفضل عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ج1، ضبط وتصحيح : محمد سليم سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1998، ص 144 .

وما كان للمغرب أن يتحد في عقيدته ومذهبه إلا في عصر الدولة الادريسية، حيث بمجرد ما اطمأن إدريس الأول لتدعيم أركان دولته وتوطيد دعائم ملكه نهض للقضاء على ما كان بالمغرب من مختلف العقائد والأديان فقضى على بقايا اليهودية والنصرانية والمجوسية وناهض الخوارج والمعتزلة وجمع الناس على عقيدة السلف ودعاهم إلى الاقتصار على **مذهب الإمام مالك**(*) وجاء بالموطأ فنشره بينهم، ويقال أن أول من جاء بالموطأ إلى بلاد المغرب هو علي بن زياد التونسي[1] .

وكان إدريس يقول نحن أحق بإتباع مالك وقراءة كتابه ، وذلك لرواية الإمام مالك في الموطأ عن والده عبد الله الكامل، ولما كان يراه مالك أيضا ويفتي به من خلع للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وصحة بيعه محمد النفس الزكية شقيق إدريس ، ونتيجة هذا انتشر المذهب المالكي بالمغربين الأقصى والأوسط، كما نشره سحنون(**) بالمغرب الأدنى –رغم كون الغلبة للمذهب الرسمي للدولة الأغلبية الحنفي الكوفي– فعمت المالكية المغرب الكبير مع ما في ذلك من عقائد الزيدية[2] .

كما يعتبر ابن القيرواني –إمام المالكية و جامع مذهب مالك– بمثابة الباشر لأفكار المالكية في الأوساط الشعبية من خلال تكوينه للعديد من التلاميذ وتأليفه "للرسالة" و "النوادر والزيادات" اللتان أعطتا ديناميكية كبيرة في مواجهة تيار التشيع ، هو بإعتبار ابن زيد من السكان الأصليين (بربر نفزة) تمكن من توطيد أركان

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 186 .

(*)مذهب مالك: نسبة إلى مؤسسه الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمر وبن الحارث ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان، ولد في المدينة المنورة سنة 93هـ وأخذ العلم بها عن علمائها وفقهائها السبعة ، ولازم عبد الرحمن بن هرمز وأقام معه مدة طويلة لم يخلطه بغيره ، ثم أخذ عن نافع مولى ابن عمر وبن شهاب الزهري كما أخذ عن جعفر الصادق. أحمد الشرباصي، المرجع السبق، ص70، ولم يجلس مالك للفتوى حتى شهد له شيوخه بأهليته لذلك فصدره الطلاب من كل ناحية ، اعتمد مالك في أصول مذهبه على كتاب الله ثم على سنة نبي الله وما ثبت عنه: وبعطي لما جرى عليه العمل في المدينة أهمية كبرى ؛ ثم يعتمد على القياس إذا لم يكن نص كتاب أو سنة، وقد نسب إليه العمل بالمصالح المرسلة أي المصالح التي لم يشهد لها من الشرع بالبطلان، ولا بالاعتبار نص معين. نوال عباية: الصراع المذهبي في بلاد المغرب وأبعاده الثقافية و الاجتماعي. مذكرة ليسانس، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2005-2006، ص30. وقد ألف مالك عدة كتب أهمها موطأ مالك الذي يعد أول الكتب التي وضعت الأحاديث مصنفة مبوبة، وأول كتاب ألف في الفقه و الحديث معا وقضى مالك إلى الأذى بسبب بعض آرائه التي لم توافق هوى العباسيين فتعرض للضرب وخلعت كتفه وتوفي سنة 179هـ. المسعودي، المصدر السابق، ص 431 .

(**)سحنون: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التوخي، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص249 . ولد في رمضان 160هـ وهو من صليبة العرب ويرجع أصله إلى بلاد الشام من أهل حمص قدم والده مع جند حمص من العرب ودخل به إفريقية ، وكني سحنون باسم طائر حديد معروف بحدة النظر و الذكاء لحدته في المسائل ؛ أخذ العلم بالقيروان عن مشايخها: أبي غارجة وهلول وعلي بن زياد وابن أشرس، وسمع عن ابن القاسم وابن وهب، وكان رحمه الله ثقة حافظا للعلم ورعا صادقا صابرا في الحق زاهدا في الدنيا ولا يقبل من السلطان شيء. محمد رياهم محمد عزب: الإمام سحنون. دار الفرجاني: القاهرة. 1992، ص65. اعتمد المذهب المالكي ومنع الإفتاء بآراء المذاهب الأخرى. كما ساهم بمدونته في إعطاء دفع كبير لسكان المغرب لقصد التشريع بمذهب الإمام مالك. علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 133.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص ص 186،187 .

مذهب مالك وراعى خصوصية المجتمعات القبلية الريفية، ويعد أبو جعفر أحمد بن نصر الدوادي صاحب كتاب الأموال ، و الذي نشر تعاليم المالكية بمدن المسيلة و تنس و تلمسان ، وهو من وضع أسس صلبة للمالكين ببلاد المغرب الأوسط[1].

بعد الانتشار في المغرب الأوسط واصلت المالكية اكتساحها لمعاقل جماعات الإباضية ، حيث نجحت تدريجيا في ضم الكثير من القبائل الاباضية إلى صفوفها في بلاد الزاب وقسطيلية و وارجلان وخير دليل على ذلك اعتناق سكان مدينة الحامة ببلاد الجريد جماعيا للمذهب المالكي ، بعدما كانوا إباضية نكارية[2] .

وتعتبر ثورة أبي يزيد المحتسب الملقب بصاحب الحمار (ت 336هـ/947م) أهم حركة بربرية مقاومة لتيار التشيع تحت لواء المذهب الاباضي النكاري ، وقد حضت هذه الثورة بدعم جناح المالكية الثورية بقيادة الفقيه المسي و العديد من رفاقه[3] .

إن من يتّبع العوامل التي أدت إلى زوال السيادة الفاطمية ببلاد المغرب ، يرى أن ذلك راجع إلى إنتصار مذهب مالك وسيطرة فقهاء المالكية في القيروان على الدولة الزيرية ، في الوقت الذي شغل فيه الخليفة المستنصر الفاطمي بالفتن و الثورات و المجاعات[4] ، والواضح أن المالكية قد تحدوا بني زيري من أول يوم رحل فيه الفاطميون ، وفرضوا السنن المتعلقة بالصلاة و الآذان و الصيام التي أبطلت سابقا ، وجاهروا بالتعميم السني بمقتضى مذهب مالك[5] .

كما نزح المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى ، وكان يتبنى القرآن الكريم بقراءة الإمام حمزة بن حبيب إلى أن رحل ابن خيرون الأندلسي إلى المشرق في صدر المائة الرابعة فعاد برواية قالون وورش عن نافع ، فانتشرت هذه القراءة بين الناس ، ووقع اختصار قراءة سكان المغرب على نافع لاختيار مالك قراءته ، فاختاروه ليكون فقههم فقه مالك عالم المدينة و قراءتهم لقارئ المدينة[6] .

ويمكن إيجاز الأسباب الكبرى لانتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي إلى :

**السبب الأول** : انتماء الإمام مالك لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مركز الإسلام وعاصمته، وجعل أهل المغرب الإسلامي ينظرون إلى عمله وفضله وإعجاب وتكبير مقتنعين بفقهه بأنه أقرب إلى روح

---

[1] علاوة عمارة ، المرجع السابق، ص 133 .

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 484 .

[3] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 131 .

[4] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج4، ص 226 .

[5] عبد العزيز المحذوب، المرجع السابق، ص 223 .

[6] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 269 .

الشريعة[1]، وكان مالك يبذل جهدا خالصا في الاعتناء بعدد من طلابه المغاربة ويوصيهم بنشر العلم في المغرب[2].

**السبب الثاني** : طول عمر الإمام مالك وهذا بخلاف المذهب الحنيفي ، فإن صاحبه لم يعمر طويلا ، إذ لم يتجاوز السبعين من عمره ، إلا أن مالك قضى 86سنة في إفتاء الناس ، مما أدى إلى كثرة تلاميذه لاسيما من أهل المغرب و الأندلس ، كما أن الفترة التي عاشها الإمام مالك بن أنس ساعدته على الانتشار مقارنة بمن لحقه من الأئمة **كأحمد بن حنبل**(*)، وهي الفترة التي بدأت خلالها تتجه الأمصار الإسلامية إلى تقديم أحد المذهبين المالكي والحنفي ، وبذلك لم يجد الإمام أحمد بن حنبل مجالا واسعا في العالم الإسلامي لنشر مذهبه[3] .أما ابتعاد المالكية بعامة عن الشافعي ما ذكره المقدسي إذ قال " رأيت أصحاب المالكية يبغضون الشافعي ؛ قالوا أخذ عن مالك ثم خالفه " وزاد بأن " سائر بلاد المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي ؛ إنما أبو حنيفة ومالك رحمهما الله ، وكنت يوما أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي فقال : أسكت من هو الشافعي؟ إنما كان بحران: أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب ، أفتقر هما وتشتغل بالساقية؟[4] .

**السبب الثالث** : ملازمة الإمام مالك لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ضمان لنقاوة عمله من الأهواء ، إذ أن المدينة المنورة هي منبع الدين الإسلامي الأصيل ومقر مهبط الوحي وعاصمة الدولة في عهد الخلفاء ؛ ولعل المغرب الإسلامي تميزوا بشعور قوي اتجاه سنة النبي الكريم وسعيهم الحثيث على تتبع آثار السنة النبوية وإلى مقاومة أعدائها من أهل البدع و الأهواء[5] .

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 32 .

[2] نذير حمادو، المذهب المالكي الإسلامي، دار الفجر للطباعة و النشر ، قسنطينة، 2008، ص 19 .

[3] نجم الدين الهنتافي، محاولة لنشر المذهب الحنبلي بإفريقية، مجلة الآداب العربية، العدد 173، السداسي الأول ، 1994، ص 91 .

(*)أحمد بن حنبل: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريسة ابن عبد الله بن حيان بن عبد الله ابن شيبانا المروزي ثم البغدادي ويلتقي ابن حنبل في نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في نزار بن معد بن عدنان ، ولد في شهر ربيع الأول سنة 164هـ ببغداد وقد نشأ يتيم الأب ، حفظ القرآن وتعلم مختلف العلوم وتلقى علومه على أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي صاحب أبي حنيفة، وهشيم بن بشير بن أبي حازم الواسطي ، ودرس على يد الشافعي كذلك، وقد تعرض ابن حنبل لفتنة كبيرة من المعتزلة فرضت عليه القول بمختلف القرآن لكنه رفض فعذب من المأمون ثم المعتصم، وقد توفي سنة 214هـ/855م. احمد الشرباصي، المرجع السابق، ص 158 .

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص 42 .

[5] نذير حمادو، المرجع السابق، ص 25 .

طالوت الفقيه: وهو طالوت بن عبد الجبار بن محمد بن أيوب المعافري القرطبي ، كان أحد ممن أخذ عن مالك بن أنس ونظرائه وشهر بالصلاح و الفضل وإليه ينسب المسجد والحفرة بداخل مدينة قرطبة وهناك مسكنه وكان من أعلام فقهاء قرطبة ، وهو صاحب القصة المشهورة المضروب بها المثل في الوفاء و الذمة . القاضي ،المصدر السابق، ج1، ص ص ، 293،294.

**السبب الرابع** : تبادل الوفود و البعثات العلمية بين الأقطار الثلاثة- القيروان والمغرب و الأندلس- كان يشكل عاملا من أهم عوامل انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي ، وترسيخه على المستوى العلمي ، خاصة بعد أن تأسست الجوامع العلمية ، كالقيروان سنة 55هـ والزيتونة 114هـ وجامع قرطبة الكبير 169هـ وجامع القرويين بفاس 245هـ أصبحت مراكز إشعاع في المنطقة ، ومناطق تبادل للعلماء خاصة المالكية منهم، مثل بن يحيى الليثي (ت 234هـ) صاحب مالك وأحد رواة الموطأ عنه وطالوت الفقيه(*) وغيرهم[1].

**السبب الخامس**: تشابه البيئتين في البداوة، في كل من الحجاز وبلاد المغرب و الأندلس ، ولا يقصد بالبداوة التخلف بقدر ما يقصد به الحالة التي ظل عليها عرب الحجاز – الأمويون منهم بالرغم من انتقالهم إلى الشام- من تشبث بالتقاليد وعزوف عن عادات البلاد المفتوحة وحضارتها[2] .

**السبب السادس** : مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الحنيفة ، إذ كانوا يأخذون عليهم تواطؤهم مع أمراء الدولة الأغلبية التي اتخذت الحنفية مذهبا رسميا لها إلى جانب الاعتزال وقرب أمرؤها فقهاءه ، وأسندوا إليهم الرئاسة والقضاء ، ونكلوا بالمالكية وهذا دفع الحنفية إلى أن يتساهلوا في إصدار الأحكام الشرعية ، مسايرة منهم لحياة الترف و الرفاهية التي كان يعيشها كتحليل النبيذ ، وقضية خلق القرآن (*) ، ومواقف الظلم لفقهاء المالكية جعل الطبقة الشعبية تميل إليهم[3].

**السبب السابع** : ربط بعض المؤرخين انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي بعامل سياسي ، يتمثل في دعم السلطان ، حيث ذكر بعضهم أن الإمام مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة مالك الأندلس، فوصف له سيرته قائلا : "إنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله" ، فقال مالك : " ليت الله زين حرمنا بمثله " فوصل الخبر إلى ملك الأندلس فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الأوزاعي[4] .

---

[1] نذير حمادو، المرجع السابق، ص 37،39 .

[2] نجم الدين الهنتاتي ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري . تيز الزمان ، تونس ، 2004، ص 68.

(*)تأثر فقهاء الحنفية بفكر المعتزلة وقد أصابت سحنون من جراء ذلك محنة شديدة في المغرب كما أصابت الإمام بن حنبل بالمشرق، حين أراد أحمد بن الأغلب، أن يفرض القول بخلق القرآن ، إذ جمع له قواده وقضيه ابن أبي الجواد وغيره وسأله عن القرآن فقال سحنون : " أما شيء ابتدئه في نفسي فلا ولكني سمعت من تعلمت منهم وأخذت عنهم كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق " فقال ابن أبي الجواد : " كفر فاتته ودمه في عنقي ، فقال الأمير لنواب بن حمزة : ما تقول أنت ؟ قال فتله بالسيف راحة ... ولكن اقتله قتل حياة فتأخذ عليه الضمناء وينادي عليه بسماط القيروان لا يفتي ، ولا يسمع أحدا ، ولا يلزم داره ففعل ذلك وأخذ عليه عشرة حملاء . المالكي ، المصدر السابق، ج1، ص 286 .

[3] نذير حمادو ، المرجع السابق ، ص 37.

[4] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص139 .

**السبب الثامن** : المثل الكبير الذي أصاب أهل المغرب من كثرة ثورات الخوارج ، فكان من البديهي أن يبحثوا عن مذهب سني أكثر تحاملا على الخوارج ألا وهو المذهب المالكي ، وخاصة إذا علمنا أن صاحب المذهب الإمام مالك أفتى باستتابة الخوارج وإن رفضوا ذلك يقتلوا[1].

وبما أن الأندلس كانت تحكم من قبل الأمويين والمغرب كان يساس من طرف الأدارسة العلويين شجع هؤلاء على ترسيخ المذهب المالكي لإبطال مذهب الخوارج وبدعوتهم[2].

**السبب التاسع** :كون المذهب المالكي مذهب عملي يعتمد على الواقع ويراعي أعراف الناس وعاداتهم ، وأهل المغرب يميلون إلى البساطة والوضوح ويفرون من الجدل والنظريات المتطرفة ، فيبقى المذهب المالكي نقيا صفيا من البدع والشوائب ، وأن المذهب المالكي بكثرة الأصول التشريعية هذا ما جعل أهل المغرب يحبذونه على غيره من المذاهب الفقهية السنية الأخرى ، لأن كثرتها بين أيدي المفتي تسمح له باختيار أصلحها وأقربها للحق والعدل وأكثرها تماشيا مع واقع بلاد المغرب ، فانتشاره ببلاد المغرب نظرا لتلاؤمه مع الواقع المغربي ولكثرة مراعاته للعرف[3].

**السبب العاشر** : يرجع بعض الباحثين تمسك المغاربة بمذهب الإمام مالك إلى ذلك الترابط بين الإمام مالك وتأثر إدريس ، وهو تعاطف يرجع إلى أن الإمام روى في موطئه عن عبد الله المالكي والد إدريس ، مما جعل إدريس الأكبر يقول : " نحن أحق بإتباع مذهب مالك وقراءة كتابه " ، كما أفتى مالك بصحة بيعة محمد النفس الزكية وأن بيعة جعفر المنصور لا تلزم لأنها كانت على الإكراه[4].

إذن هذه جملة من الأسباب التي ذكرها العلماء و الباحثون التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي إلا أنها في نظر الباحث المتفحص لا تعبر أسبابا موضوعية لانتشار المذهب[5]، اللهم إلا ما كان من حمل سلاطين بلاد المغرب و الأندلس رعاياهم على الالتزام به ، والرحلات التي لم تنقطع بين المغرب و المدينة ، وقوة رجالات المذهب من الفقهاء[6].

---

[1] نذير حمادو، المرجع السابق، ص 45 .

[2] نجم الدين اهتاني، المرجع السابق، ص 89 .

[3] نذير حمادو، المرجع السابق، ص 53 .

[4] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 186 .

[5] نذير حمادو، المرجع السابق، ص ص 54، 56 .

[6] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 135 .

خاتـــمة

## الخـــــاتمة :

نستطيع أن نحدد في خاتمة بحثنا هذا النتائج التي توصّلنا إليها في العناصر التالية :

إن الدراسات الأجنبية ولاسيما ما كتبه "جوليان julien" و "ج.مارســي G.MARCAIS" تركز عن قصد على نقطة حساسة وهي أن ثورات الخوارج في المغرب هي رد فعل من السكـــــان الأصليين، البربر ضد العرب الفاتحين الذين هم دخلاء على البلاد، وهي فكرة خاطئة، لأن البربر أسلموا وحَسُن إسلامهم، وإنما نلاحظ أن ثورتهم تكمن وراءها أسباب سياسية واجتماعية .

- الموقف السياسي العام عند البربر بدأ يتبلور عند بداية الموجة التوسعية العربية وانقسامها بين مؤيد لهم ومساند للبيزنطيين، حيث لم يكن العرب قد توغلوا في البداية أكثر نحو الداخل و لم يصطدموا بنظام القبلية عند البربر ، حيث أن الذين دخلوا كطرف مصارع هـــم البرانس لأنهم أكثر تحضرا وكانت لهم مصالح في أن تبقى القواعد البيزنطية ،حيث يعيشون في مناطق محاذية لها على الساحل عكس قبائل البتر البعيدة عن النفوذ العربي .
- رغم وجود ولاة عظام لبلاد المغرب ساهموا في توطيد الإسلام وزرع مبادئه إلا أن هناك ولاة ساهموا في إذكاء نار الفتنة ومحاولة تقريب طرف على الآخر، بل حتى فرض الجزية كما تفرض على الكفار والمشركين وكل ذلك أدى إلى رفضها فاشتعلت الثورات الداعية إلى الحرية ورفض الذل .

ظهر الصراع بين البتـــــر والبرانس جليا عند قبيلة جراوة البترية وعلى رأسها الكاهنة ، حيث بمجرد تخريبها للمدن انقلبت قبائل البرانس التي معها وساندت حسان بن النعمان.

- تنـــافس القبائل البربرية العريقة على كسب اسم وتأييد خاصة من الذيـــن ينتمون إلى الأســـــرات الشريفة وهذا لتقوية جانبهم أمام القبائل الأخرى، فلهذا انحر النهافت على إدريس ثم عبيـــد الله فيما بعد، وعلى كل حال فقضية الولاة هدفها سياسي صرف بل هي لعبة سياسية دفع ابتكارهـــــــا انتقال الصـــراع السياسي والمذهبي بين الأمويين والعلويين من أرض المشـــرق إلى أرض المغرب و الأندلس .

- الفتن و الدعوات المذهبية ، لم تكن خاصة في المغرب، بل منتشرة في كل أنحاء العالم الإسلامـــــي، كما أن هذه المذاهب الخارجة عن الإسلام أو النابعة منه كلها واردة من المشرق ، وبعضها وجد الإقبال والرواج في المشرق أكثر من المغرب .
- وهناك عامل آخر لعب دورا مهما في هذا الميدان وهـــو ما كانت تفرضه الدول المتعاقبة علـــى المغرب من معتقدات ومذاهب بحد السيف أحيانا، والإنسان لا يقبل بسهولة ما يفرض عليه فرض ، خاصة فيما يتصل بالرأي والعقيدة ، لذلك ينتهز أي فرصة أو مناسبة للتحرر مما فـــرض عليه .
- وقوع المغرب في مركز وسط بين خلافتـــــــين متصارعتـــين تحـــول كل واحدة كسب هذه البـــلاد لصالحها على شاكلة ما حدث في العصر الماضي من حرب باردة تحاول كل واحدة كسب أكبر عدد من مناصرين ومتأثرين ناشرين مذاهبهم وأفكارهم، كما أن وقوع بلاد المغرب في مركز وسط جعلهـــا معبر للتجار من مختلف الشّيع و المذاهب و الأفكار .
- كذلك بُعد بلاد المغرب عن الخلافة وحاضرته سواء كانت دمشق أو بغداد صعّب من مهمة القضاء وملاحقة الأفكار الشيعية و الخارجية و المتطرفة ، فكانت قبلة لكل هارب ولكل شاذ .
- اعتنق البربر الدعوة الخارجية والشيعية لأنهم وجدوا الأساس الذي يمكنهم من التمرد على النظام السياسي القائم أكثر مما كانوا يكافحون من أجل إنشاء نظام جديد بمعنى الكلمة .
- لعب الخوارج دورا بارزا في تاريخ بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،وأثروا في أحوالهم السياسية والاقتصادية و الاجتماعية، كما كانت بلاد المغرب أكثر بقاع العالم الإسلامي تقبـــلا لعقائد الخوارج، وأكثرها حماسا لنصرتهم ، فباعتناق المغاربة مذهب الخوارج ، رفعـــــــوا علم الثورة على الأمويين و العباسيين ، وانتهى بهم الأمر إلى إقامة إمارتين مستقلتين هما إمارة بنـــــي مدرار وإمارة بني رستم ، ومهما شهدت بلاد المغرب عصرا من الاستقلال السياسي والازدهار الثقافي كل لها عوضا عن فترة القلائل و الإضطرابات السياسية و الأزمات الاقتصادية التي صحبت عصر الثورة .

تعتبر الدولة الفاطمية أول ظهور حقيقي لمذهب الشيعة في المغرب كما استـــــطاعت الشيعـــة الإسماعيلية أن تقيم أول دولة شيعية لهم بالمغرب .

- لم يقدر البربر أن يظهروا على مسرح التاريخ المغربي كدول ذات كيانات سياسية مستقلة إلاّ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حيث آل حكم المغرب الإسلامي ، بعد رحيل الخليفة الفاطمي إلى مصر ، إلى أسرة زيري وبني حماد .
- والشيء الواضح أن دولة الزيـــريـــين قد بقيت أقوى دولة بربرية في المغرب لحيـــــن زحف القبائل العربية ، ثم ظهور قوة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري، وأن الدولة الزيـــريـــة بقيـــت الممثل الأقـــوى للمغرب مع الفاطميـــين إلى إعـــلانهم خروجهم عن المذهـــــب الشيعي سنة 440هـ/1049م .
- لم يكن حكام صنهاجة يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميين، بل كانوا يحسون أنهم وحدهـــــم الأحق بزعامة المغرب ولم يكن ولاء صنهاجة لهم إلاّ عملية انتصار بقوة كبرى ضد أعدائهم من زناتة وضد مشاكلهم الداخلية في المغرب ، ولكن كان بلكين بن زيـــــري الذي استخـــلفه المعز لـــدين الله الفاطمي على المغرب لم يـــظهر الخلافـــة للفاطميـــــين ، فإن ذلك لم يكن إلا مداراة سياسية أملتها ظروف في المغرب ليواجه كتامة وزناتة وغيرهم .
- وبذلك تمت القطيعة بين القاهـــــرة و القيروان وكـــانت ضربة قاضية وجهت للتشيع في المغرب الإسلامي، فلم يعد هذا المذهب مرة أخرى إلى هذه البلاد، رغم بعض المحاولات التـــــي تمـــت خصوصا في عهد الموحدين .
- أما الخوارج فعلى الرغم من أنهم تمكنوا من تكوين دولتين بالمغرب همـــــــا: دولة بنـــي مدرار الـــــتي أقامها الصفرية بسجلماسة سنة 140هـ/755م ، والرستمية التي أقامها الإباضية بتاهرت سنة 161هـ/777م ، فإنه يبدوا أنها لم يبق لهم في القرن الخامس أثر وخاصة بالمغرب الأقصى .
- إن الدول الإسلامية التي تكونت في بلاد المغرب الإسلامي باسم الخوارج أحيانا ، وباسم الشيعة الفاطمية والادريسية ،ما هي إلا دولا أمازيغية نشأة وازدهارا وحضارة، وما من شك في أن عزوف الأمازيغ عن السلطة بترجمة حبهم للإسلام من جهة ،وتشبعهم للحق الممثل في الخوارج الاباضية، وآل البيت الممثلين في الفاطميين و الأدارسة،ناهيك عن إبعاد شبح التنافس والاقتتال فيما بينهم، على تسلم مقاليد الحكم،خاصة وأنهم مطبوعين على ذلك فكانت للوافد أكثر من المحلي .

- إن المغرب الإسلامي رغم انفصاله عن الدولة العباسية كانت تسود فيه المذاهب السنية، وذلك لأن المذهب الإباضي في تاهرت، وهو مذهب المعتدلين من الخوارج ، كان لا يختلف كثيرا عـــن مذاهب أهل السنة ، حتى أطلق عليه حديثا اسم المذهب الخامس، كما أن إمارة سجلماسة الصفرية كانت تدين بالولاء للخلافة العباسية ببغداد ، إضافة إلى أن دولة الأدارسة في فاس على الرغم من كونـــــــها دولة علوية، إلا أن الأدارسة كانوا معتدلين بشكل لا يفرقهم عن أهل السنة مما دعـــا إلى تســـــمية هذه الدولة بالدولة الهاشمية شأنهم شأن العباسيين ، وعلى هذا قامت فاس وتاهرت وسجلمـــاسة بنشر الإسلام السني في المغرب باستثناء هرطقات برغواطة ، و كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب انقلابـــــا خطيرا ، لكن لم يدم طويلا و لم ينغرس في صـــفوف البربر فسرعان ماتخلوا عنه لدرجة أنه لم يبق منه شيء .
- على الرغـــم من التطاحن والصدام المذهبـــــي بين المالكية و الشيعة و الخوارج في بلاد المغرب ، خرج منه المذهب المالكي منتصرا في نهاية المطاف بسبب الصمود المستمر والمعـــــاناة من قبل فقهـــاء المذهب تجاه المذاهب الإسلامية الأخرى المنافسة .

وقصارى القول أنّ بلاد المغرب الإسلامي على الرغم من طبيعتها الجغرافية القاسية إلاّ أنها كانت مقصدا لكل الأمصار المضطهدين و ذلك راجع لأسباب سياسية ، ممّا أدى بسكان المغرب إلى التطور و الإنفتاح نتيجة للظروف الصعبة التي مرتبها و ساعدتها على تكوين دولة إسلامية محضة .

# الملاحق

**ملحق رقم: (01)**

## الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب

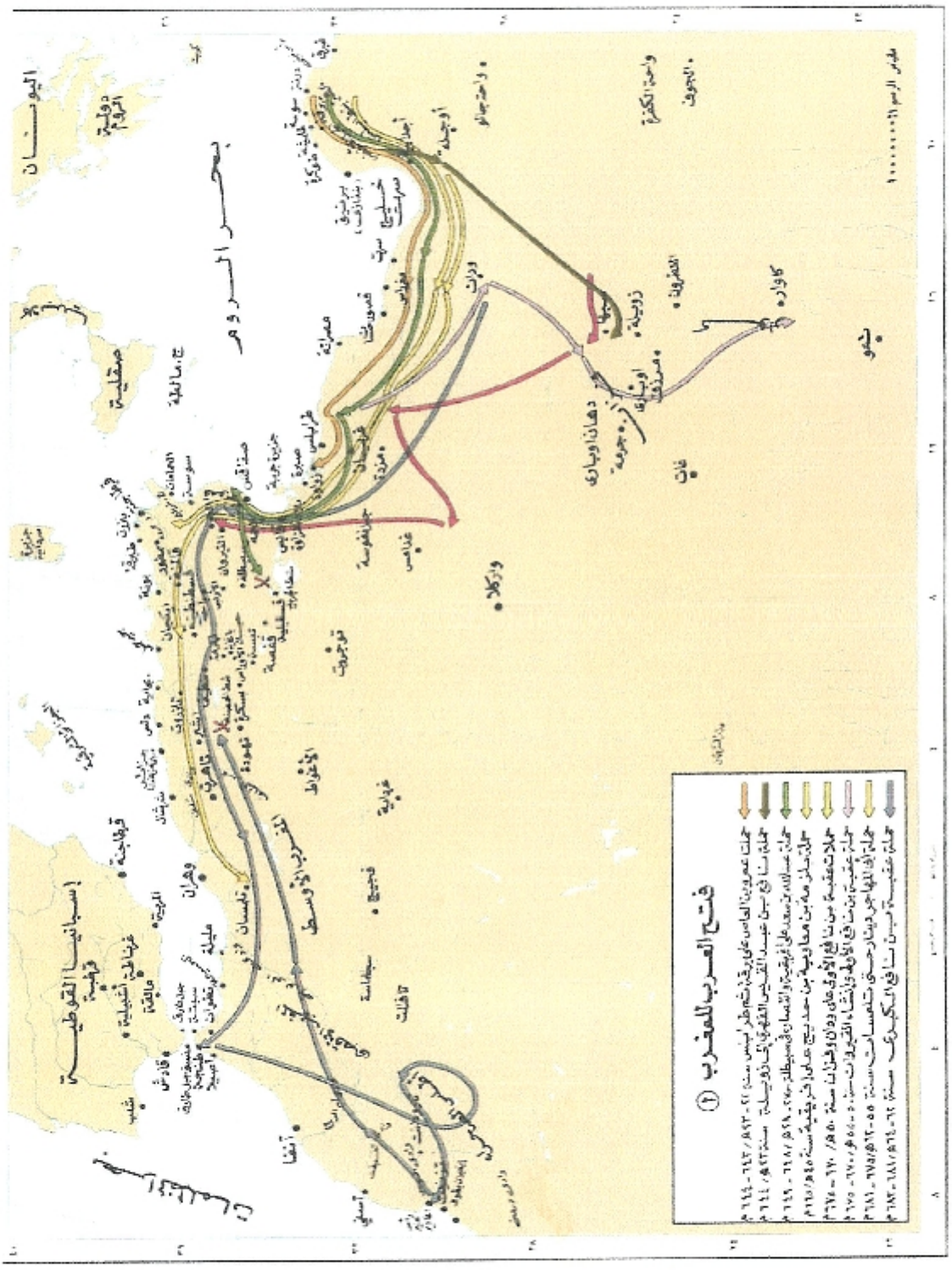


حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام. الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، ص120.

# ملحق رقم (02)

## الفتـــح العـــربي الاسلامي لبلاد المغرب

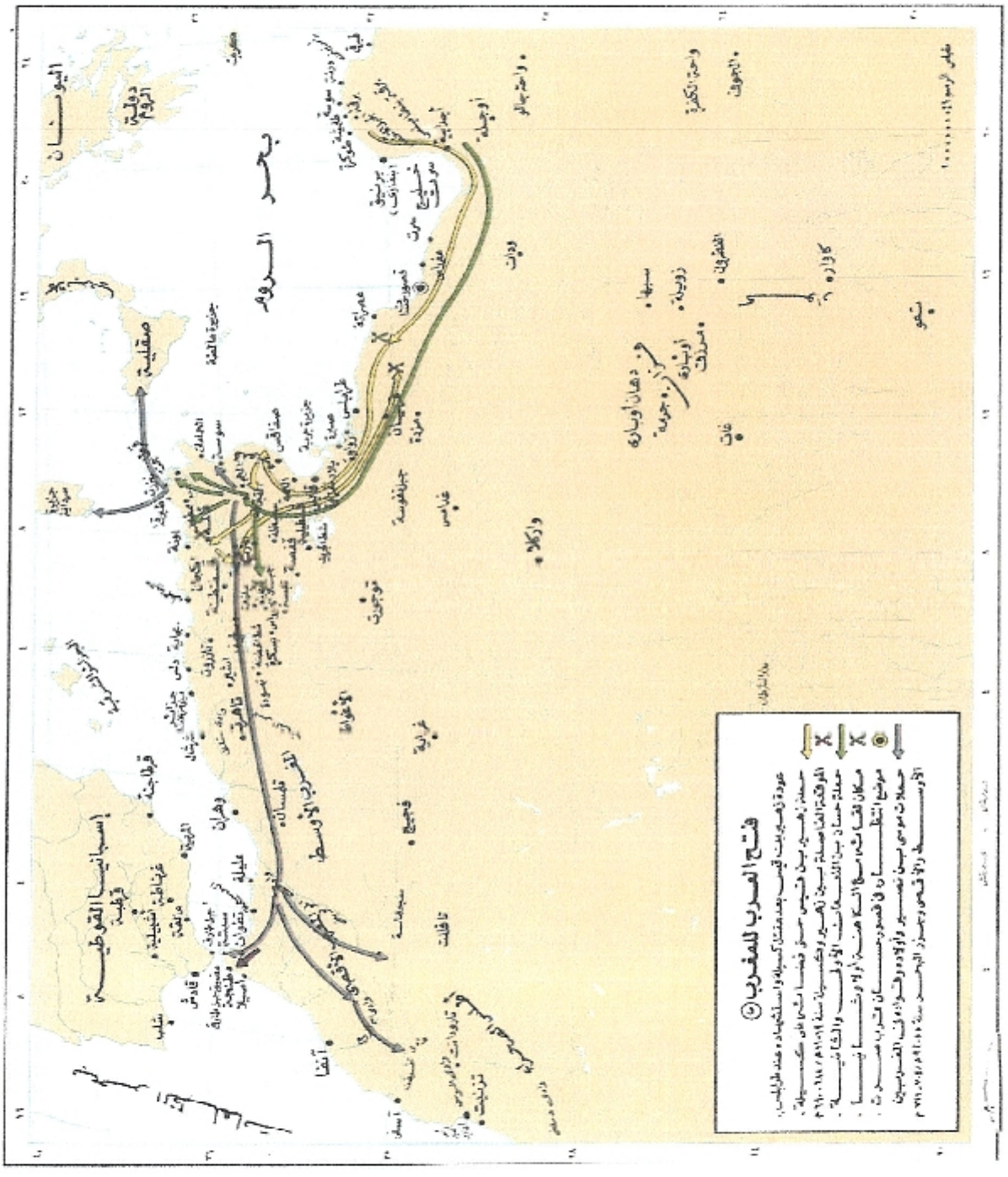


حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص121.

## ملحق رقم : 03

### الـــدولة الأمـــوية

شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 47.

# الملحق رقم 04

تسلسل الإمامة بداية من محمد بن اسماعيل

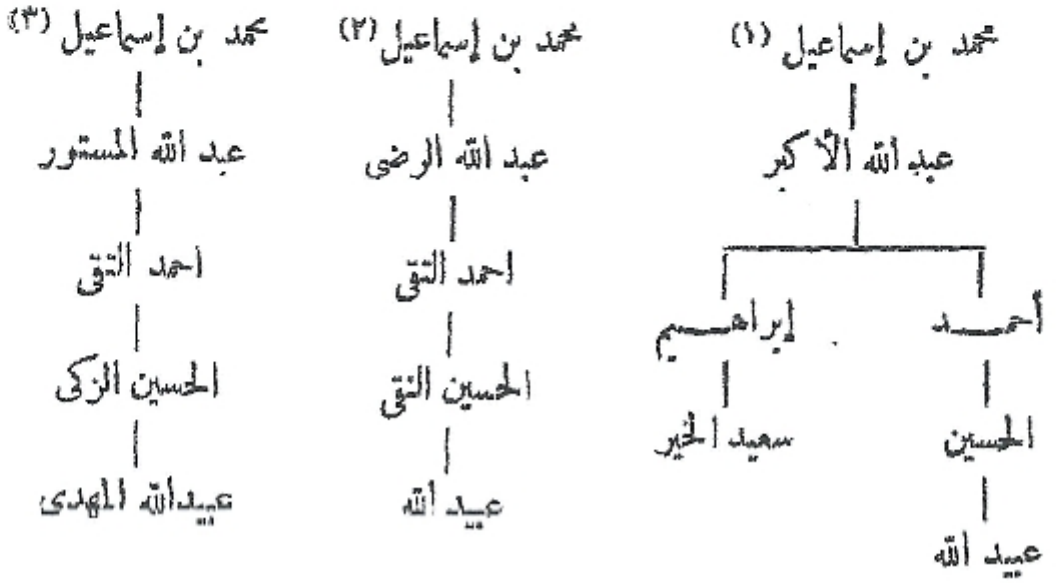


حسن ابراهيم حسن و طه أحمد شرف، المرجع السابق، ص 152.

## الملحق رقم 05

الإمـــارات المســـتقلة

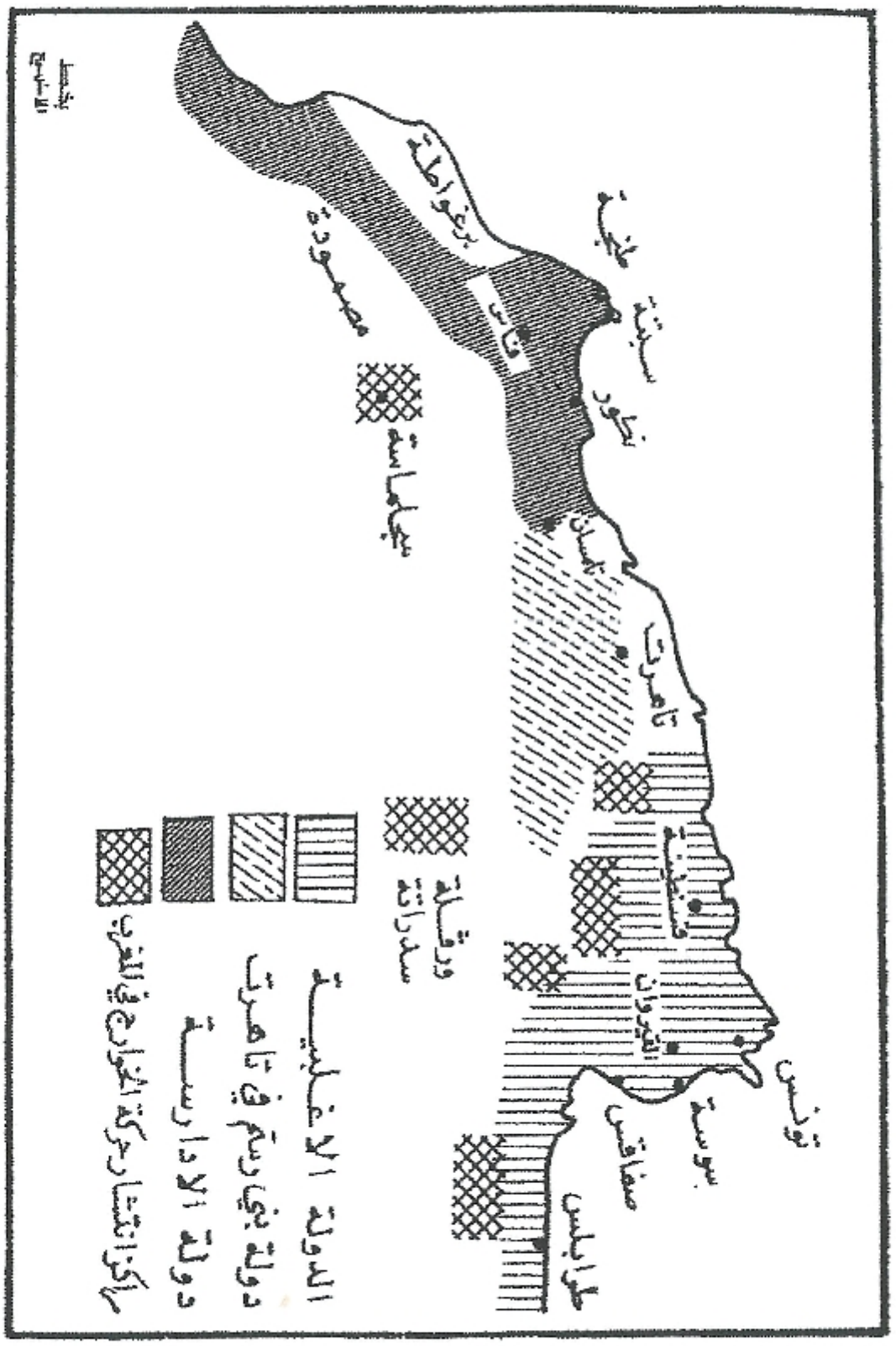


الرفيق القيرواني، المصدر السابق، ص 111

## ملحق رقم :06

إمارة بني مدرار

حسين مؤنس، المرجع السابق، ص51

## ملحق رقم 07

الدولة الرستمية في المغرب الأوسط

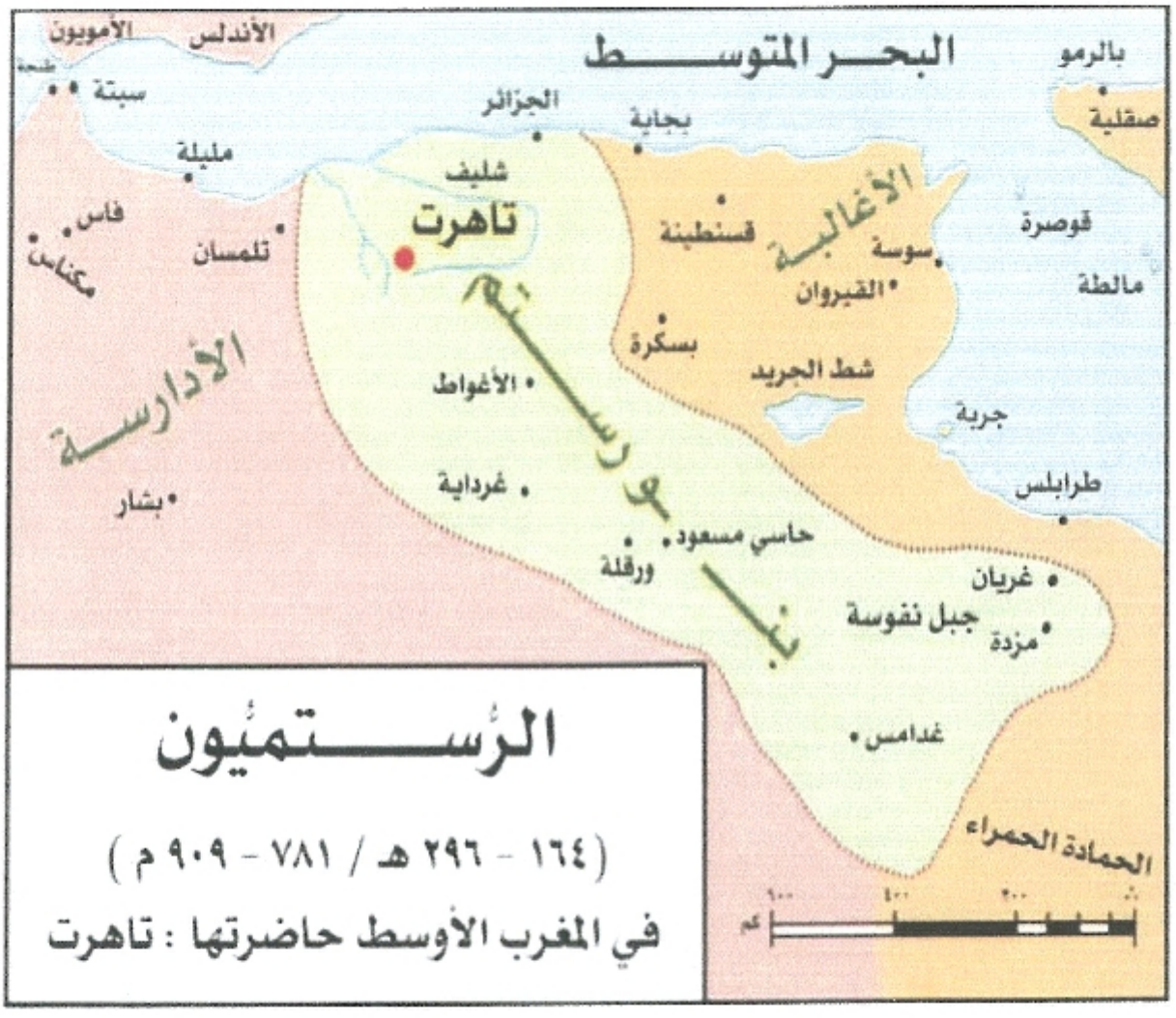


شوقي أبو خليل ، المرجع السابق، ص50.

**ملحق رقم :08**

الدولة الفاطمية

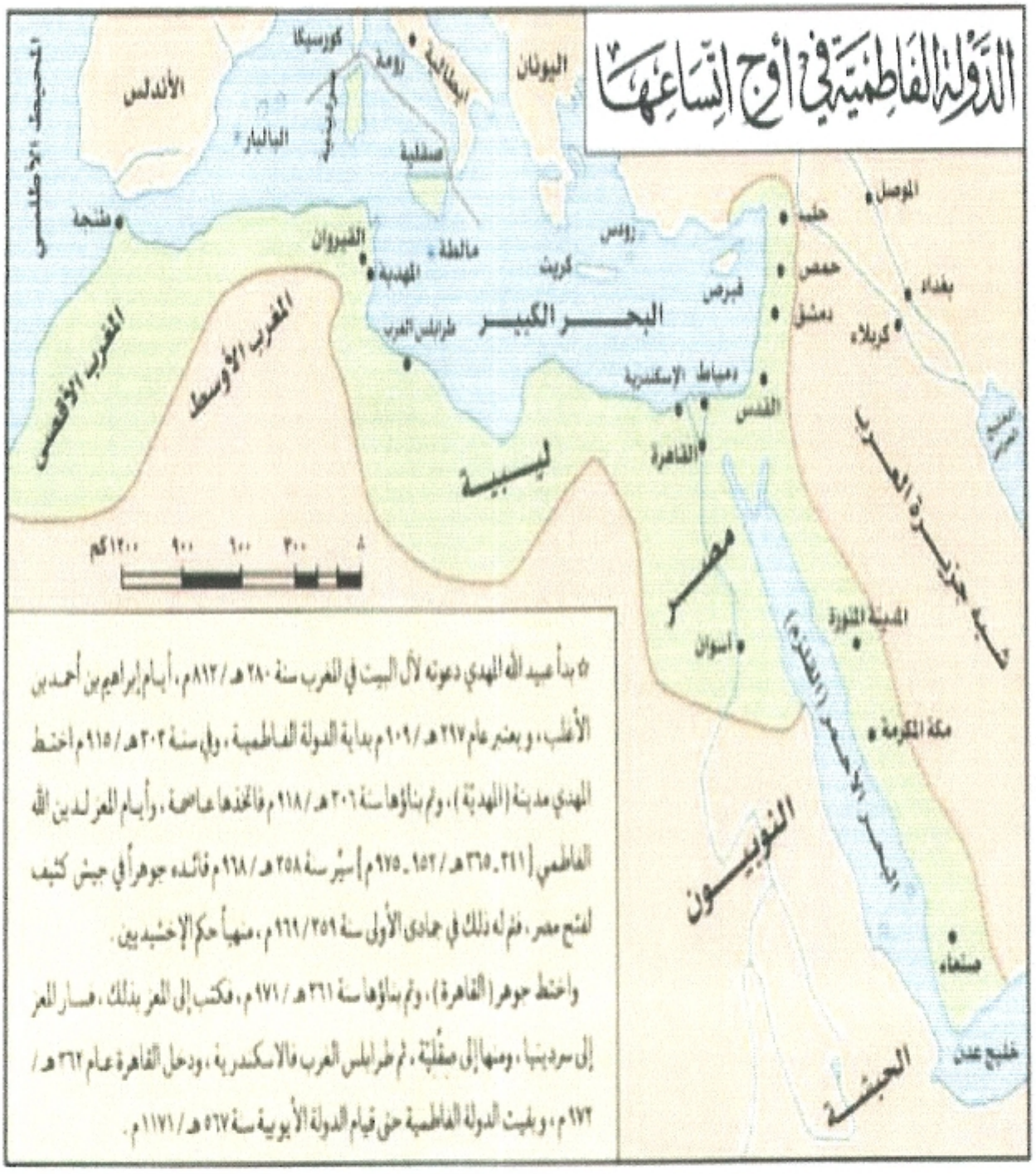


٥ بدأ عبيد الله المهدي دعوته لآل البيت في المغرب سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣م، أيام إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وبعشر عام ٢٩٧ هـ/٩٠٩م بداية الدولة الفاطمية، وفي سنة ٣٠٢ هـ/٩١٥م اختط المهدي مدينة (المهدية)، وتم بناؤها سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨م فاتخذها عاصمة. وأيام المعز لدين الله الفاطمي (٣١١-٣٦٥ هـ/٩٥٢-٩٧٥م) أسيّر سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨م قائده جوهراً في جيش كثيف لفتح مصر، فتم له ذلك في جمادى الأولى سنة ٣٥٩/٩٦٩م، منهياً حكم الإخشيديين.

واختط جوهر (القاهرة)، وتم بناؤها سنة ٣٦١ هـ/٩٧١م، فكتب إلى المعز بذلك، فسار المعز إلى سردينيا، ومنها إلى صقلية، ثم طرابلس الغرب فالاسكندرية، ودخل القاهرة عام ٣٦٢ هـ/٩٧٢م، وبقيت الدولة الفاطمية حتى قيام الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١م.

حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص55.

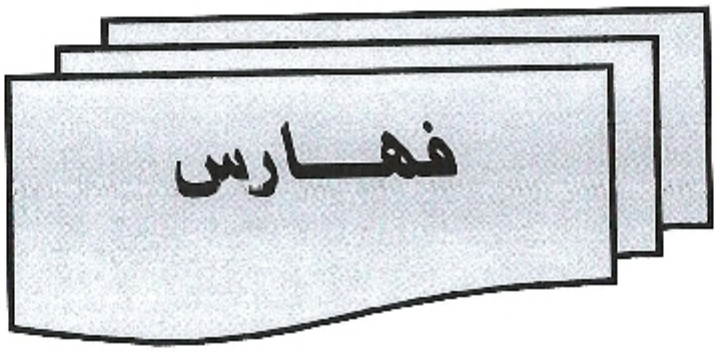
فهـــارس

# فهرس الأعلام


| -أ- | -ع- |
| --- | --- |
| أبا العباس الشيعي :ص40،41 | عبد الرحمن النصر الأموي :ص42 |
| أب يزيد المحتسب ( صاحب الحمار ) : ص65 | العامري :ص16 |
| أبا الخطاب :ص50 | عبد الرحمن بن رستم :ص47،49،50،51،52 |
| أبا الزاجر إسماعيل بن زياد النفوس ص50 | عبد العزيز بن مروان :ص20 |
| أبا القاسم بن عبيد الله :ص40،42 | عبد الله الراسبي :ص31 |
| أبا زكي تمام بن معارك :ص41 | عبد الله الكامل :ص64 |
| ابن أبي يزيد القيرواني :ص65 | عبد الله بن أباض : ص48 |
| ابن الأشعث :ص 51 | عبد الله بن أباض التميمي ص31 |
| جرجير الفرسخي :ص16 | عبد الله بن الحجاب :ص44 |
| ابن الأشعث:ص51 | عبد الله بن زياد ص31 |
| ابن خيرون الأندلسي :ص65 | عبد الله بن سبأ :ص25 |
| أبو الخطاب عبد الأعلى بن المسح :ص49 | عبد الله بن سعد بن أبي السرح: |
| أبو العباس أحمد بن ميمون بن مدرار :ص47 | عبد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد :ص42 |
| أبو المهاجر دينار :ص18،19 | عبد المؤمن بن علي الكومي :ص47 |
| أبو بكر الصديق :ص23 | عبد الملك بن مروان : ص19،20،31 |
| أبو بلال مرادس ص 31 | عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم :ص51 |
| أبو جعفر أحمد بن نصر الدوادي :ص65 | عبيد الله الشيعي :ص40،41،47 |
| أبو جعفر المنصور:ص64،68 | عبيد الله المهدي : ص40،41،42،43 |
| أبو حنيفة :ص37 | عصام السدراتي :ص49،50 |
| أبو حنيفة: ص66 | عقبة بن نافع الفهري :ص15،16،17،18،19،20 |
| أبو داود القبلي :ص49 | عكرمة مولى بن العباس :ص44،48 |
| أبو زيد زيري بن مناد: ص54 | علي ابن أبي طالب :ص 23،25،26 |
| أبو سفيان :ص28،29،39 | علي بن زياد :ص63 |
| أبو عبد الله الشيعي:ص29،40 | عمر ابن الخطاب :ص15،16،23 |
| أبي جعفر المنصور :ص29 | عمر ابن العاص:ص15،16،17 |
| أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة | |

التميمي:ص49

أبي يزيد بن مخلد بن كيداد بن سعد

أحمد بن حنبل : ص66

إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن :ص35،36،

إدريس الثاني :ص38،64

إسحاق بم محمد بن عبد الحميد :ص:36،37

أسد بن الفرات :ص63

إسماعيل بن جعفر الصادق :ص27

إسماعيل بن درار الغدمامي :ص49

افريقش:ص13

إلياس بن حبيب :ص 49،50

إلياس بن سمغون بن واسول :ص47

أنس أبو حاتم يعقوب بن حبيب اللزوزي:

ص50،51

البهلول بن راشد :ص63

جعفر بن محمد الصادق :ص27،29

الجنيد بن سيار :ص50

حسان بن النعمان :ص19،20

الحسن بن علي :ص26،27،35

الحسن بن كنوت: ص55

الحسين بن علي :ص26،27،35،36

عمران بن حطان ص31

عيسى بن عبد الله:ص36

عيسى بن يزيد الأسود المكناسي الصفري :

ص46

عبد الله بن الزبير :ص16،19

-ب-

-غ-

برنس :ص13

بطليموس :ص7

بلكين بن زيري بن مناد :ص55،56،59

غالب بن عبد الرحمن:ص55

-ق-

-ح-

الكاهنة :ص20

| | |
|---|---|
| | كسيلة : ص18،19 |
| | -ق- |
| الحارث بن تليدا الحضري :ص50،58 | قيس بن نصير بن راشد :ص،36،50 |
| الحجاج بن يوسف :ص44 | |
| حمزة بن حبيب :ص65 | |
| -خ- | -م- |
| خالد بن حبيب :ص45 | ماذغيس :ص13،15 |
| خالد بن حميد :ص45 | محمد النفس الزكية :ص36 |
| | محمد بن أبي حذيفة بن ربيعة :ص16 |
| | مدرار بن سمغون بن واسول : |
| | المعافري :ص49 |
| | معاوية ابن أبي سفيان : ص16،17 |
| | معاوية بن حديج :ص16،17،18 |
| | المعز جوهر الصقلي: ص 43 |
| | المعز لدين الله:ص55،58،59،60 |
| | المنصور:ص42،43،54،55،57،58،59 |
| | موسى ابن النصير :ص20،27،28،31 |
| | ميسرة المدغري :ص45 |
| | مالك بن أنس :ص29،63،65،66،68 |
| | محمد الإمام ( الصادق ):ص26 |
| | محمد بن إدريس: ص38 |
| | محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ص27 |
| | محمد بن أوس الأنصاري :ص19 |
| | مروان بن الحكم : ص19 |
| | مسلم بن مخلد الأنصاري :ص18 |
| | معاوية بن يزيد بن معاوية : ص19 |
| | المعز بن باديس : ص57،58،59،60 |
| | الممسي :ص65 |

| | |
|---|---|
| | المنمسي :ص65<br>موسى الهادي : ص35<br>ميمون بن مدرار :ص47 |
| -ص- | -ي- |
| الصنهاجي :ص14 | يحيى بن عبد الله بن الحسن : ص36،35<br>يحيى بن يحي الليثي :ص67<br>يزيد بن خلف العبسي : ص19<br>يزيد بن معاوية:ص19،18<br>يعلي بن محمد اليفرني :ص42 |
| -س- | -ز- |
| سلمة بن سعيد :ص48،44<br>سحنون :ص64<br>سليمان بن عبد الله بن الحسن : ص35، | زياد بن الأصفر : ص31<br>زيري بن مناد<br>زين العابدين بن الحسن :ص28،27<br>زهير بن قيس البلوي :ص19،18 |
| -ش- | -ه- |
| الشافعي: ص66<br>شعيب بن عثمان :ص50 | هرقل :ص16<br>هشام بن عبد الملك :ص28،27 |
| عثمان بن عفان :ص25،23،16 | |
| -ص- | |
| صالح بن مسرح :ص45،44 | |
| -ط- | |
| طالوت الفقيه: ص67<br>طالوت الفقيه: ص 67 | |

# فهرس الأماكن


| -أ- | -ن- |
| --- | --- |
| المغرب:ص7،8،10،11،12،13،15،18، | الناطور :ص29 |
| 19،20،28،29،30،31،32،33،35، | النهروان :ص30 |
| 36،37،38،39،40،41،42،43،44، | نيجر : ص7 |
| 45،46،47،48،49،52،54،55،56، | النيل :ص34 |
| 58،59،60،61،62،63،64،65،66، | |
| 67،68،69 | |
| إفريقية :ص7،8،10،11،12،13،16،19. | |
| 30،31،32 ،33،35،36، 37 ،52 | |
| 54،55،56،58،59،60،61،62،63، | |
| 64،65،66،67،68،. 69 | |
| الأندلس:ص8،9،28،41،43،52 | |
| السوس الأدنى :ص9،10،18،20 | |
| الأربس :ص29 | |
| أرجلان :ص 65 | |
| إسبانيا : ص20،45 | |
| إقليم التل : ص15 | |

| -ب- | -ه- |
| --- | --- |
| البحر الأحمر :ص12 | الهند، ص31. |
| بحر الزقاق :ص10 | |
| بحر القلزم :ص10 | |
| برقة :ص7،8،11،15،19،20 | |
| بلاد ماسة :ص33 | |
| بلاد الزنج : ص10 | |
| برغواطة :ص45،46،47،56 | |
| البصرة : ص38 | |
| البصرة:ص38 | |
| بلاد الديلم :ص35 | |

بلاد الزاب : ص38،51

بلدة هودة :ص19

-ت-

تازة : ص15

تازروت : ص40

تامسنا :ص9

تبسة :ص41

تلمسان :ص9،14،15،18،36،38

تنس: ص65

تونس:ص8،9،17،19،60،62،63

تيفاس:ص41

-ج-

جبال تازا :ص,917 ،18،19،20،29

جبل الدرن :ص9،10

جبل جزول : ص52

جبل زعوان :ص29

جبل نفوسة : ص51

الجزائر :ص8،9،19،55،61

الجزائر :ص8،9،19،55،61

-ح-

الحجاز :ص63

حروراء : ص30

-د-

دمشق :ص18،

20

-م-

-و-

واد ملوية :ص47

وادي شلف: ص51،57

وادي ملوية :ص9

وادي ميزاب : ص51

وانشريس :ص28

ورفجومة : ص46

وهران : ص38،52

-ي-

دمشق :ص18، 20

| | |
|---|---|
| مدينة أفلو: ص51<br>مدينة الأغواط :ص51<br>مدينة فخ :ص35،36<br>مدينة نكران :ص18<br>المسيلة :ص65<br>المغرب الأدنى : ص50،56،59،64<br>المغرب الأقصى :ص45،46،56،64،65<br>المغرب الأوسط :ص54،56،57،62<br>منطقة الكاف :ص29<br>منطقة الكحان : ص40<br>ميلة :ص40 | |

# فهرس القبائل


| -أ- | -ع- |
| --- | --- |
| أجانة :ص40 | عجيسة :ص14،4041 |
| أداسة :ص15 | |
| أزداجة :ص14 | |
| أوربة : ص14،36،37،38 | |
| أوريغة : ص14 | |
| -ب- | -غ- |
| البربر :ص46 | غمارة :ص46 |
| بن زيري :ص15،54،55،61 | |
| -ت- | -ق- |
| تاهرت :ص8،928،41،43،52 | قبيلة بني هلال وسليم : ص60،62 |
| تلكاتة : ص54 | قفصة :ص41 |
| -ج- | -ك- |
| جراوة :56،57،58،59 | كتامة ص:14،29،39،40،41،43 |
| جزولة :ص14 | |
| -ز- | -ل- |
| زهانة :ص49 | لطانة :ص40 |
| زواوة : ص40،41 | لمطة : ص14 |
| زويلة : ص8 | لهيصة ص46 |
| | لواتة : ص15 |
| -ص- | -م- |
| صنهاجة :14،47،54،55،56،58،61 | مدغرة : ص45 |
| صوارة : ص48،49 | مرماجنة :ص29 |
| | مزغنة :ص9 |
| | مصمودة : ص14 |
| | مطماطة : ص 15 |

| | |
|---|---|
| | مغراوة :ص15<br>مكناسة :ص45،46 |
| | -ن- |
| | نفوسة : ص15،48 |
| | -ه- |
| | هكسورة : ص14 |

# المصادر والمراجع

*القـــرآن الكريـــــم

## المصـــــادر :


1. الإصطخري [ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارس ، 346 هـــ]، المسالك والممالك تحقيق : محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة : شفيق غربال ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة 1961.
2. ابن أبي زرع الفاسي [ ت بعد 724هـــ] ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مصور للطباعة والنشر ، الرباط ، المغرب. 1972م.
3. ابن الأثير [ أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني ،555-630هـــ] ، الكامل في التاريخ . ج 3،ج4،ج6، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، طبعة القاهرة . 1949.
4. ابن الخطيب [ لسان الدين محمد الغرناطي ، ت 776هـــ ] ، أعمال الأعلام فيما بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . تحقيق وتعليق : أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1964.
5. ابن تيمية [ تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد كراني الحنبلي الدمشقي ت 661هـــ ] ، منهاج السنة النبوية .ج8 تحقيق : محمد رشاد سالم ، دار الكتاب العلمية ، ط1 . 1406هـــ/1986م.
6. ابن حزم [أبي أحمد علي بن أحمد ، ت456هـــ ] : الفصل في الملل والأهواء والنحل .ج4،تحقيق إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ، طبعة القاهرة . 1330هـــ.
7. ابن حزم .جمهرة أنساب العرب . تحقيق : عبد السلام هارون ، دائرة المعارف ، مصر . 1962.
8. ابن حوقل، [ أبو القاسم محمد البغدادي النصيبي ، ت في النصف الثاني من القرن 4هت] ، صورة الأرض . جمعه : أبي القاسم محمد بن خرداذبة ، قدمه : بن جعفر ، طبعة بيروت ، لبنان .1962.
9. ابن حوقل ،المسالك والممالك. طبع بمريل، ليدن ، 1872.
10. ابن خلدون [عبد الرحمان بن محمد ، ت 808هـــ ] ، العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .ج6، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان. 1431هـــ/2000م.
11. ابن خلدون، المقدمة .ضبط وشرح : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ن بيروت ، 2006م.

12. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان .ج3، تحقيق : إحسان عباس ، طبعة دار صادر ، بيروت 1948م.

13. ابن عبد الحكم [ عبد الرحمان بن عبد الله القريشي ، ت257-871م ] ، فتوح مصر والمغرب .ج1، تحقيق ونشر : عبد المنعم عامر ، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة . 1961م.

14. ابن عبد ربه [ أحمد بن محمد الأندلسي ت 328هـ] ، اعقد الفريد .ج2 ،تحقيق : مفيد محمد قميحة ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط1 . 1404هـ/1983م.

15. أبي عبيد البكري ت 487هـ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب: جزء من المسالك والممالك. دار الكتاب الاسلامي، القاهرة ، [د.ت].

16. ابن عذارى [ أبو عبد الله محمد المراكشي ، ت في القرن8هت ] ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . ج 1،تحقيق ومراجعة : ج س كولان وإليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 .1983م.

17. أبي الفلاح [عبد الحي بن عماد الحنبلي ] ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب . المكتب التجاري للطباعة والنشر ، لبنان .[ د.ت].

18. الأزكوي [ سرحان بن سعيد ]،كشف الغمة لجامع لأخبار الأمة . ج2 ، تحقيق : محمد عبد الله النابودة ،دار البارودي ،[دت].

19. البارودي [سليمان] ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضيه .ج2 ،تحقيق وفهرسة : أحمد كروم عمر بازين ومصطفى ابن ديسو ، تقديم : إبراهيم بن بكير بحاز وأحمد بن سعود السيابي ، القاهرة ،ط3 . 1423هـ/2002م.

20. البغدادي [ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ت 429هـ/1037م] ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . تحقيق : محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة . 1977.

21. البلاذري [أحمد بن يحي بن جابر ،ت قبل 3°2هـ ] ، فتوح البلدان . تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، ط1 . 1319هـ/1901م.

22. الحسن الوزان، وصف افريقيا. ج1، ج2. ترجمة :محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان، ط2، 1983.

23. الحسن بن موسى النوبختي ، سعيد بن عبد الله القمي ، فرق الشيعة . تحقيق : عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، القاهرة،ط1 .1992م .

24. الدرجيني [ أبي العباس بن سعيد الدرجيني ، ت 670هـ] ، طبقات المشائخ بالمغرب .ج1، تحقيق : إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة .دون سنة.

25. الشماخي [ احمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أبي العباس ، ت685هـ] ، السير . تحقيق ودراسة : محمد حسن ، أوريس للطباعة ، تونس . 1995م.

26. الشهرستاني [ محمد بن عبد الكريم بن احمد أبو الفتح ، ت 497هـ ] ، الملل والنحل .ج1،ج2،ج3، تحقيق : أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور ، دار المعرفة ، ط3 .1414هـ/1993م.

27. الطبري [ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب ، 310هـ] ، تاريخ الرسل والملوك .ج3 ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر . 1967م.

28. عياض [ أبو الفضل القاضي ] ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك .ج1 ،ضبط وتصحيح : محمد سليم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1. 1998م.

29. القاضي [ النعمان أبو الحنيفة بن أبي عبد الله بن حيون ،ت363هـ] ، رسالة افتتاح الدعوة . تحقيق : وداد القاضي، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 .1970م.

30. القلقشندي [ أبو العباس أحمد بن علي ، ت821هـ ] .صبح الأعشى في صناعة الانشاء .ج1، دار الكتاب المصرية ، القاهرة .1340هـ/1922م.

31. المالكي [ أبي بكر عبد الله بن محمد من مؤرخي المغرب في القرن 5هـ] ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم .ج1، تحقيق : البشير البكتوشي ، مراجعة: محمد العروسي المطوي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 .1403هـ/1983م.

32. مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار . نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية . 1958م.

33. المسعودي [ أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي ، ت346هـ] ، مروج الذهب ومعادن الجوهر .ج1، ج2، تحقيق وتعليق : يعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، لبنان ، ط1 .2000م.

34. المقدسي [ شمس الدين أبو عبد محمد بن أحمد ، ت388هـ] ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة بريل ليدن.1906م.

35. المقريزي [ تقي الدين أحمد بن علي ،ت845هـ/1441م] ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . ج 1، تحقيق: جمال الدين الشيال ، القاهرة .1387هـ/1967م.

36. الناصري السلاوي [ أبو العباس بن خالد ، ت1315هـ] ، الاستقاء لأخبار دول المغرب القصى .ج1، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب .1954م.

37. ياقوت الحموي [ شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي ،ت 626هـ] ، معجم البلدان .ج2 ،تحقيق : فري عبد العزيز الجندي ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط1 .1990م.

## المراجـــــع :

1. أحمد محمود حسن، دولة المرابطين. مكتبة النهضة المصرية، ط1 .1957م.

2. المبني مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث . ج2 ،بيروت ،ط 2 .1963م.

3. أبو خليل شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي . دار الفكر ، دمشق ، ط1 .1984م.

4. أبو زهرة محمد، أبو حنيفة :حياته وعصره وآراؤه الفقهية . دار الفكر العربي، القاهرة ، ط2 .1991م.تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت. 2008م.

5. اسماعيل محمود،

6. أمين أحمد ، فجر الإسلام . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط10،1969م.

7. أندري جوليان شارل ، تاريخ إفريقيا الشمالية .ج1، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية ، ط4 ، 1983م.

8. البكاري لطيفة ، حركة الخوارج ، نشأتها وتطورها . دار الطليعة ، بيروت ، ط1 .2001م.

9. بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب. ج2، المطبعة الملكية، الرباط ، المغرب .1968م.

10. النشتاوي أحمد ، دائرة المعارف الاسلامية. ج8، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

11. بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية .ج2 ،دار الكتاب العربي ، الجزائر.2000م.

12. البوسعيدي سيف بن أحمد بن سيف ، حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلامية ، [د.ط].[د.ت].

13. بونار رابح ،المغرب العربي تاريخه و ثقافته . دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، ط 3. 2000 .

14. بيضون إبراهيم ، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة. دار النهضة ، بيروت .1980م.

15. تابليت عمر ، هوارة ودورها التاريخي في المغرب الإسلامي . مطبعة المعارف ، عنابة ، سبتمبر 2008.

16. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم .ج4، أكاديمية المملكة المغربية . 1987م.

17. الثعالبي عبد العزيز ، تاريخ شمال إفريقيا ، من الفتح الإسلامي على نهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق: أحمد بن سيلاه ومحمد ادريس ، تقديم ومراجعة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامية ، لبنان ، ط1 . 1987م.

18. جمال الدين سرور محمد ، سياسة الفاطميين الخارجية . دار الفكر العربي ، القاهرة . 1967م.

19. جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية . دار الثقافة ن القاهرة .1411هـ/1991م.

20. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام .ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .1965م.

21. جهلان عدون : الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش .نشر جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر .1999م.

22. الخريري محمد عيسى : الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي . دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت،ط3 .1408هـ/1987م.

23. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي .ج1،ج2،ج3،ج 4،دار الجيل ، بيروت ، ط14 .1996م.تاريخ الدولة الفاطمية . القاهرة . 1985م.

24. حسن إبراهيم حسن ،حمدي شرف ، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ،الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ط1. 1987م.

25. حسن أحمد محمود ، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، القاهرة . 1963م.

26. حسن محمد نذير ، تاريخ المغرب والأندلس . دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية.2004م.

27. حمادو نذير ، المذهب المالكي في المغرب الإسلامي . دار الفجر ، قسنطينة . 2008م.

28. خضري بك محمد ، الدولة الأموية . دار الكتاب العربي ، بيروت .1426هـ/2005م.

29. خليفة النامي عمرو ، دراسات عن الاباضية . ترجمة : ميخائيل خوري ، مراجعة: ماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط1 .2001م.

30. دبوز محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير .ج4، طباعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ط1 .1974م.

31. رشيد رضا محمد ، السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة: حقائق دينية تاريخه اجتماعية واصلاحية . دار المنار ، القاهرة ، ط2 .1947م.

32. رفعت فوزي عبد المطلب ، الخلافة والخوارج في المغرب العربي ، دار العلوم ، القاهرة ، ط1 .1393هـ/1973م.

33. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي .ج1 ،مطبعة أطلس ، القاهرة .1990م.

34. سعدون عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب . دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1.1408هـ.دولة المرابطين في المغرب . دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 .1985م.

35. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير .ج2، دار النهضة العربية ، بيروت .1981م.

36. الشرباصي أحمد ، دائرة المعارف الإسلامية . دار المعرفة ، بيروت .1993م.

37. شيت خطاب محمود ، قادة الفتح الإسلامي ، دار الفكر ، ط7 .ج1، 1984م.

38. عارف تامر : الحاكم بأمر الله ، خليفة وإمام ومصلح .ج2 ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط1 .1982م.تاريخ الاسماعيلية من المغرب إلى المشرق . رياض الريس : لندن . دون تاريخ.

39. العبادي أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والأندلسي . دار النهضة العربي ، بيروت.1972. في تاريخ المغرب والأندلس .مطبعة الانتصار ، الإسكندرية .2001م.

40. العبادي عبد الحميد ،المجمل في تاريخ الأندلس . القاهرة .1964م.

41. عبد الرؤوف الفقي عصام الدين : تاريخ المغرب والأندلس ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة.1990م.

42. عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية . بيروت ، لبنان ، ط2 .1966م.

43. عمار علاوة : دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي. ديوان المبوعات الجامعية .2008م.

44. عوض خليفات ، نشأة الحركة الاباضية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .1978م.

45. عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد . دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة .1991م.

46. غالب مصطفى ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية . دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 1965م.

47. الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي . ترجمة عن الفرنسية : عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت .1981م.

48. الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر . نشر مكبة العرب ، تونس .1925م.

49. لقبال عبد الحليم ، المغرب الإسلامي . المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط3 .1984م.دور كتامة في الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1979م.

50. مؤنس حسين ، أطلس تاريخ الإسلام . الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ط1 .1407هـ/1987م.فتح العرب للمغرب . مطبعة الاداب بالخمامين ، القاهرة ، ط1 .1947م.

51. مارسيه جورج ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى . ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف ، الاسكندرية .1999م.

52. المجدوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية . الدار التونسية للنشر ، ط2. 1985م.

53. المجدوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية .الدار التونسية للنشر ،ط2 .1985م.

54. محمد زينهم محمد غرب ، الإمام سحنون . دار الفرجاني ، القاهرة .1992م.

55. محمد عويضة كامل محمد ، الإمام أبو حنيفة : فقيه أهل العراق وإمام أهل الرأي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،ط1 .1992م.

56. محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، تاريخها ، نظمها ، عقائدها ، مكتومه للنشر والتوزيع ، القاهره ، ط1 .1959م.

57. محمود إسماعيل عبد الرزاق ، الأدارسة حقائق جديدة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 .1991م.الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، نشر دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 .1406هـ/1985م.

58. مراد سعيد ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا . عين للدراسات والبحوث الإنسانية ،ط3 .1999م.

59. مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .1983م.

60. مزهودي مسعود ، الاباضية في المغرب الأوسط ، نشر جمعية القرارة ، الجزائر .1996م.

61. مصطفى مفتاح صلاح ، ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة إلى مصر . منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام . 1982م.

62. معمر علي يحي ، الاباضية في موكب التاريخ .ج2 ،مكتب وهبة ، ط1 .1384هـ/1964م

النشتاوي.

**الموسوعات :**

1. موسوعة الأديان في العالم ، الفرق الإسلامية ، الطبعة الأصلية . 2000 .
2. نجيب ( زينب) ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس . تقديم: أحمد ابن سودا ، دار الأمية، لبنان ، ط1. 1410ه / 1995 .

**المعاجم و القواميس :**

1. ابن فارس ( أحمد بن زكريا، ت 395ه/1004م )، معجم مقاييس اللغة ،ج 2، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1411ه/1991م .
2. ابن منظور ( جمال الدين الدين بن الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة ، ت 711ه) ، لسان العرب . مج 8 ،تحقيق : عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشادلي ، دار المعارف ، 1995م .
3. الجوهري ( إسماعيل بن حماد ) ، معجم الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط4. 1990م .
4. الزمخشري ( جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، ت 532ه) ، أساس البلاغة . راجعه وقدمه : إبراهيم قلاتي ، دار الهدى ، عين مليلة ، ط2 . 1998م .
5. الفيومي ( أبي العباس أحمد بن محمد ، ت 720ه ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،ج 1،دار إحياء التوراث العرب . 1954 م .

**الرسائل و المذكرات:**

1. أبركان سليمة وفردي يسمينة ، الخوارج في المغرب الإسلامي ( رسالة ليسانس في التاريخ ) . غير منشورة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة . السنة الجامعية 2002،2003 .
2. عوشاش جمال ، الحركة الإباضية في المغرب الإسلامي (مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في التاريخ)، جامعة الحاج لخضر ، باتنة . السنة الجامعية 2007/2008 .

3. نوال عائلة ، الصراع المذهبي في بلاد المغرب و أبعاده الثقافية والاجتماعية من القرن (8-11م) ، (مذكرة ليسانس في التاريخ ) ؛ غير منشورة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة . السنة الجامعية 2005 . 2006

المجـــــلات :

1. المهنتاني[نجم الدين] ، محاولة لنشر المذهب الحنبلي بإفريقية . مجلة معهد الآداب العربية ، العدد173 ، السداسي الأول.1994.3-

# فهـــرس الموضـــــوعات


مقـــــــدمة أ-ه

الفصل تمهيدي: دراسة جغرافية وتاريخية لبلاد المغرب 21-07

- **المبحث الأول:** جغرافية بلاد المغرب 10-7
- **المبحث الثاني:** الفتح الإسلامي لبلاد المغرب 21-10

**الفصل الأول:** نشأة الحركات المذهبية ودخولها بلاد المغرب الإسلامي 36-23

**المبحث الأول:** الحركة الشيعية 31-25

- **المطلب الأول:** التعريف بالمذهب الشيعي 29-25
- **المطلب الثاني:** حركة التشيع في بلاد المغرب الإسلامي 31-29

**المبحث الثاني :** الحركة الخارجية 36-32

- **المطلب الأول:** التعريف بالحركة الخارجية 35-32
- **المطلب الثاني:** دخول الحركة الخارجية إلى بلاد المغرب الإسلامي 36-35

**الفصل الثاني :** نجاح الحركات المذهبية وتبني البربر لها 55-38

**المبحث الأول :** نجاح الحركة الشيعية 46-38

- **المطلب الأول :** الدعوة الزيدية ونجاحها بين قبائل أوربة البرنسية 42-38
- **المطلب الثاني :** الدعوة الإسماعيلية ونجاحها في قبيلة كتامة البرنسية 36-42

**المبحث الثاني :** نجاح الحركة الخارجية 55-47

- **المطلب الأول :** الحركة الصفرية ونجاحها من قبائل أوربة البرنسية 51-47

- **المطلب الثاني** : الحركة الإباضية ونجاحها بين القبائل البرنسية والبترية 55-51

**الفصل الثالث** : تحول الحركات المذهبية إلى حركات سياسية وانتشار المذهب المالكي 71-57

- **المطب الأول** : زوال الملك العربي على المغرب الإسلامي 61-57
- **المطلب الثاني** : القطيعة المذهبية والزحف الهلالي على بلاد المغرب 65-62
- **المطلب الثالث** : انتصار وتمكن المذهب المالكي 71-66

خـــاتمة . 76-73

ملاحـــق : 87-78

**فهرس الأعلام** . 90-87

**فهرس الأماكن** . 93-91

**فهرس القبائل** 95-94.

**قائمة المصادر و المراجع** 105-97